محمود أبو النجاة



مطبعة الشعب بدمنهور

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها القارىء الكريم

« نحن نقص عليك أحسن القصص »

قرآن كريم



المؤلف

الإهداء

الى دار العـــلوم

*
* *

إلى موطن الآداب والعلم في مصر   أقدم انتاجى ، وأهدى لها شعرى

إلى معهد الفصحى ، ومبعث مجدها   وحامية القرآن من عبث الدهر

إلى روضة مدت على النشء ظلها   وأروته من فيض المعارف والفكر

إلى من أعدت للبلاد مقاولاً   لهم لهجة الأعراب في الشعر والنثر

ولكنهم عند الجديد رجاله   يسيرون فى العصر الحديث مع العصر

*
* *

مكثت بها صدر الشبيبة أربعا   غذوت بها نفسى من الحكم الغر

وكانت لي الأم الرءوم تحوطنى   بفيض من التحنان والعطف والبر

حفظت لها هذا الصنيع ، ولم أزل   أردد ذكراها ، وأصدح كالطير

محمود أبو النجاه

المقدمة

اعتذار

ان القصة كثيرة المفاجآت ، متقاربة الحوادث حينا ، بعيدة مابينها أحيانا ، وانك لتلمح ذلك فى سرد القرآن لها ؛ فقد تجمع الآية الواحدة في ثناياها مدى بعيداً وزمناً طويلاً وحوادث كثيرة ، لايتاح للمؤلف المسرحى إظهارها إلا إذا تصرف تصرفاً لايمس بجوهر القصة ؛ فشتان بين اعجاز القرآن القصصي، و بين التأليف المسرحى .

ثم ان هناك اختلافاً بين القرآن والتوراة فى بعض الحوادث وكان أكثر اعتمادى فى التأليف على القرآن الكريم ، حتى كانت الآيات تطاوعنى فى النظم فتجىء أشطراً من الشعر، هى زينة القصة وحليتها .

لعل ماذكرته لك يكون شفيعاً لي عندك ، إذا رأيت فى روايتى بعض التصرف الذى تقتضيه الحبكة المسرحية .

تحليل

فكرة الرواية تنحصر فى « السمو بالخلق الإنسانى الى أقصى معانيه » وهذا الذي يرمى اليه المؤلف فى جميع أدوارها .

« فالحب والعطف » تمثلهما شخصية « يعقوب » في محبته وعطفه على ابنه «يوسف» وألمه لفراقه ، حتى ابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم

وانما الابن من الأب شطر   عظيم ، تقطع من كبـده

ويمثلهما «يوسف» فى عطفه على أخيه ، ومحبته له ، حتى اضطره ذلك الى ايوائه والاحتفاظ به في مصر

وفي الرواية « الصبر الجميل » وتحمل أرزاء الحيـاة ، حتى تنجلى غمتها ، وتزول كربتها ؛ وذلك يتمثل فى شخصيتين ، فى «يعقوب» الشيخ المحطم و «يوسف» الفتي الصغير ، فقد تحمل الأب على شيخوخته آلاما كبارا لحرمانه قرة عينه أحوج ما يكون اليه وهو شيخ كبير . ثم احتمل « يوسف » الغـلام رميه فى جب مظلم

في جــوفه الموت الرهيـ ـب ، و بين جنبيه العطب

فصبر لهذه الصدمة المؤلمة ، وهو الغلام المدلل ، ولـكن . .

أولو العزم لا ينثني عزمهم ولا يفزعون أمام القضـاء

وكأن الله جل شأنه أراد بحادثة الجب أن يعد يوسف لأمر له مابعده ، حتى لا ينوء بما يتوالى عليه بعد من الحوادث الجسام ، فبيع كما يباع الرقيق بثمن بخس دراهم معدودة ، وهو يقول :

أباع كبيع المتـاع رقيقـا وكنت ، ولازلت حراً أبيا ؟

سأخضع للأمر ، والله حسبي وأكرم به في الخطوب وليـا

ثم النزاع العنيف « الذي سنتناوله بالتحليـل » في مراودة « زليخا » له ، واتهامها إياه ؛ وسجنه السنين الطوال ، كل أولئك يبعث في النفس احتمال المكروه ، والتذرع بالصبر أمام حوادث الأيام ، وما أحوجنا نحن المصريين ، في تسرعنا وتبرمنا بالحياة ، الى مثل هذا الخلق الكريم ! !

و يتجلى في القصة خلق « العفو » عن المسيء ، والصفح والتسامح ، وانك لتعرف ذلك عند « العزيز » إذ غفر لزوجه « زليخا » زلتها

وعفا عنها ، حينما حاولت خيانته وراودت فتـاها عن نفسه ، قائلاً لها :

يازليخا ، عفوت عنك ، فتوبى   إن ربى هو الغفـور الرحيم

وتلمس العفو فى خلق «الصديق» حين تجاوز عن خطأ إخوته وصفح عنهم بعد أن ائتمروا به وألقوه فى غيابة الجب ، إذ يقول لهم أخيراً :

دمى دمكم ، وعنصرنا زكى   وكيف نخون عنصرنا الزكيا

فلا تثريب ياقومى عليـكم   فأنتم أكرم النـاس عليا

«والعفة» تظهر فى معنـاها الأسمى ، عند «يوسف» ذلك الشاب الذى دعته سيدته ذات الجمال الرائع ، فلم يخضع لسلطان النفس ونزق الشباب

وأظهر يوسف الصديق طهرا   ولم يرض الفتي فحشـا ودونا

لقد راودته امرأة العزيز عن نفسه ، وارتمت بين ذراعيـه ، تملـكها الشهوة ويقودها الهوى ، فى شبه جنون ، وهى تقول :

قبـل الثغـر ، واثننى باليمين   أنت روحي وخاطرى، أنت دينى

وتمتع بما تحب وتهوى

فقال ممتنعاً : يازليخا ، تعففى واتركينى

ان ربى بكل شىء عليم كيف أعصيه؟ يازليخا دعينى

ان في الرواية لدرساً قاسياً لنا معشر الشباب المتهالكين على الشهوات ؛ المنغمسين فى اللذات ، فليكن لنا فى «يوسف» أسوة حسنة .

وفى الرواية « الاعتراف بالخطأ ، والرجوع الى فضيلة الحق ، والندم على الخطيئة » ألم تر ذلك من « زليخا » ونسائها ؟ عند ما استجوبهن «الملك» فقالت « زليخا » معترفة :

أنا راودته فأبى شريفاً وفر من الرذيلة فى اباء

ومن اخوة «يوسف» بعد هذا الحقد الدفين ؛ اذ يقول قائلهم له بعد أن عرفوه :

بربك عفواً ، فإنا أسأنا وقد يخطىء المرء فى جهله

وكنا شباباً ، وان الشبا ب ، يقود النفوس الى شره

«والاعتراف بالجميل ؛ والشكر على المروءة ، بالاخلاص

والأمانة على المال والعرض» كل ذلك تجده فى « يوسف » حين أكرم « العزيز » مثواه ، وسلمه مفاتيح قصره ، وائتمنه على ماله وعرضه : قائلاً له :

لا تكن غاضباً ، فلست بعبد　　أنت فى البيت ربه ترعاه
فزليخا عزيزتى لك أم　　وادعنى، ان دعوت ، ياأبتاه

لذلك لم يشأ «يوسف» الأمين الوفى ، أن يخون سيده ، بل قال لزليخا عند المراودة :

« وفطيفير » سيدى لم يهنى　　بل حبانى بكل ما يرضيني
هل جزاء الاحسان كفر وخون؟　　شد ما أسرع الردى للخئون !

واذا رأيت في القصة حقد الاخوة على أخيهم ، حتي غدروا به و كذبوا على أبيهم ، ثم رأيت خيانة «زليخا» لزوجها و كذبها وعاقبـة كل ذلك عرفت أن هذه الاخلاق المرذولة ، كانت مقدمات لنتيجة عكسية ، هى سمو الخلق فى « يوسف » واظهـار صبره وعفته وأمانته وعفوه .

خلاصة

وبعد ، فهل علمت أن الفكرة فى الرواية هى « السمو بالخلق الانسانى إلى أقصى معانيه » ؟ وهل علمت أن هذا السمو النفسى ارتقى بصاحبه الى ذروة المجد ، حتى كون منه رجلاً عصامياً معتمداً على نفسه ، له شأنه وخطره فى الحياة ، فأصبح « يوسف » بسمو خلقه وزيراً خطيراً فى مصر ، إذ يقول له ملكها ، بعد أن استخلصه لنفسه :

تول زمام الأمر ، وامض كما ترى
فيأيها الصديق ، أنت وزيرى

قدم « يوسف » مصر مملوكا ضعيفاً ، لاحول له ولا قوة ، ولكن خلقه السامى مهد له الوزارة والملك ، وانتابت مصر فى زمانه أزمة مستحكمة الحلقات ، ومجاعة ذهبت بالأخضر واليابس فعالج أمرها بحكمة رجل موهوب ، ذى عزيمة لا تفلها الحوادث

له بصروف الدهر علم وخبرة   وخص بعقل فى الخطوب كبير

فاجتاز بمصر هذه العقبة الكئود ، وتلك السنين المجدبة حتى . .

نجى البلاد ، وأحياها بحكمته وبدل العسر من أحوالها يسرا

المراجع

القرآن الكريم ؛ التوراة ، قصص الأنبياء للاستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار المدرس بدار العلوم سابقاً

مصر القديمة تأليف جورج رولستون أستاذ التاريخ القديم بجامعة اكسفورد من صفحة «١٤٥»

كتاب التاريخ العام تأليف همرتن من صفحة «٤٣٥»

شكر

أقدم خالص شكرى لحضرة الاستاذ « محمد بدره » المدرس بمدرسة دمنهور الأميرية على مساعدته لى بالبحث والتنقيب فى تلك المراجع .

تمهيد

زمن الرواية : عصر الهكسوس فى مصر ، القرن السابع عشر قبل الميلاد

مكان الرواية : فلسطين ، بأرض كنعان ـ مصر ، مدينة تنيس

أشخاص الرواية

يوسف الصديق : يمثله شخصان ، مرة وهو غلام يافع ، وأخرى وهو شاب

يعقوب : أبوه

بنيامين : أخوه الشقيق الأصغر

شمعون ، يهوذا ، رأوبين ، لاوى ، يساكر
زبولون ، دان ، نفتالى ، جاد ، آشر } اخوته لأبيه

ليئة : أم إخوته الكبار

العزيز : رئيس الشرطة في مصر «فطيفير»

زليخا : زوج العزيز

أحد أقاربها : شاهد

ثلاث نساء أخريات : اللائى أشعن أمرها

الملك ووزيره :

رئيس السقاة : سجينان مع يوسف

ورئيس الخبازين :

جنود ، وخدم ، وغلمان ، وسيارة (قافلة) التقطت يوسف من الجب

صفان : مغن مع السيارة

الفصل الاول
المنظــــر الأول

يرفع الستار عن بيت يعقوب عليه السلام ، ويوسف وأخوه بنيامين نائمان ، وأبوهما واقف ينظر إلى السماء ، يناجي ربه سبحانه سحرا

« يعقوب »

مبدع الكون . قد بنيت السماء ما أجل البنى ، وأسمى البناء !
زنتها بالنجوم ، والليل داج فامحى الليل من سناها وضاء
وخلقت الهلال والشمس فيها آية منك تستحق الثناء
هـذه الشمس بالحرارة تحيي كل شيء فيستزيد نماء
قمر يملأ البسيطة نوراً وجمالاً ، ورونقاً ، وبهاء
ورياح تجري بأمرك ، ساقت سحباً ، تمطر العباد الماء
فإذا الأرض جنة ونعيم كملت بهجة ، وطابت رواء
وجهها ضاحك بزرع نضير بعد أن كان وجهها صحراء

*
* *

نعم في جلالها كبريات ما استطعنا لشكرهن وفاء
شد ما أكفر العباد ، تناسوا كل شيء ، ولم يوفوا الجزاء !
قالوا الله بالجحود ، فضلوا عن هداه ، وتابعوا الاهواء

*
* *

أيها الليل ؛ أنت سر خفي زدت ياليل ، بالسكون خفاء
في هدوء الظلام ينمو شعوري فأرى الموت والحياة سواء
وأرى العالم الذي نحن فيه وملأنا فراغه ضوضاء
سوف يأتى يوم نراه سكونا دائما ، ثم يستحيل فناء

ينظر الى ابنه يوسف وهو نائم نظرة تفيض عطفاً وحناناً ، ثم يستطرد قائلاً :

وهب الله يوسفاً لى جميلا ضاحك الوجه ، ناضراً ، وضاء
يبسم الزهر فى محياه صبحاً ويرى البدر من سناه مساء
ساحر العين ، فاتن ، جل ربى فاض حسناً وعفة وحياء
هوعذب الحديث ، حلوالسجايا طاهر القلب ، لا يحب الرياء

*
* *

رب ، إني لما وهبت شكور　　كيف يارب ، أشكر النعماء ؟
إننى عاجز ، وجد ضعيف　　فاغفر الله ، وارحم الضعفاء
واهدنا الصراط ، انك هاد　　وهب الخير يوسفا والهناء

هنا ينهض يوسف من منامه قائلا :

« يوسف »

أبتى ، رأيت كواكباً　　فى النوم تخطف بالبصر
ورأيت ، فى كبد السما　　ء ، الشمس تسجد والقمر

« يعقوب »

ابنى ، ستصبح سيداً　　فى الناس ، محمود السير
وتكون ملكا ذا نفو　　ذ ، في البوادى والحضر
وستسجد الدنيا لدى　　قدميك ، فاسعد ، واصطبر
ولسوف تؤتى حكمة　　هى حكمة الرسل الغرر

* * *

« ابنى سألتك حاجة » خذ عند إخوتك الحذر
لا تقصص الرؤيا عليـ ـهم ؛ يحسدوك على الأثر
ويدبروا لك نـكبة والناس من حقد وشر

« يوسف مستنكراً ذلك »

هم إخوتى ، يا والدى أيكون فى القربى خطر ؟
أيسيئهم خـيرى ؟

« يعقوب »

نعم

« يوسف »

لا ، هذه إحدى الكبر

« يعقوب »

أنت طفل يابنيـا لست تدرى اليوم شيـا
طاهر القلب ، ملاك تشبه المـاء النقيـا
إنما الشيطان رجس يهـوى بالنفس هويا

يقلب الباطل حقا ويبين الرشد غيا

يجعل الانسان شيطا نا ، ولو كان وليا

ويريك الحلو مرا ويرى المر شهيا

يجعل الخل عدوا بعد أن كان وفيا

يملأ الاخوة حقدا يأكل الصدر ، قويا

« يوسف »

يا أبي ، هذا محال كيف يجنون عليا ؟

أنا منهم واليهم ومنى (١) هم وإليا

كلنا أبناء يعقو ب

يعرض أبوه بوجهه عنه مستنكراً رأيه ، فيقول يوسف :

« يوسف »

أما تصغى إليا ؟

« يعقوب فى جد »

نصحتك عن خبر ، ولست بكاذب

فإنى عجمت الدهر ، والدهر دار بى

---

(١) منى بتخفيف النون

عرفت من الدنيا أموراً جهلتها
وليس كبير السن فى الرأي كالصبى
فكن حذراً ، لا تأمن الناس كلهم
ولو إخوة كانوا من الأم والأب

« يوسف فى عجب »

عجيب أبى !

« يعقوب »

لا تعجبن ، فكم أخ
له ظاهر حلو ، به سم عقرب

« يوسف »

أتلك هى الدنيا ؟

« يعقوب »

نعم ، يوسف احترس
فأنت صبى ساذج ، لم تجرب

« يوسف ـ مشيراً إلى أخيه »

أأحذر بنيامين ؟

« يعقوب وهو يمر بيده على بنيامين عطفاً وحناناً »

لا ، إنه أخ

يعيش بقلب يخلص الود ، طيب

« يستيقظ بنيامين ، ثم يجلسهما يعقوب على ركبتيه ، يحيطهما بذراعيه ، ويقبلهما قائلا » :

أحبكما حباً ، أراه سعادتي

« يوسف وبنيامين »

ونحن بقلبينا نحبك يا أبي

« إخوة يوسف يرقبونهم من وراء ستار ، متسمعين لحوار يوسف مع أبيه ، يشرق النهار »

« شمعون ـ لاخوته ، مشيراً إلى أبيه »

انظروا ، انظروا لفعل أبيكم كيف يلهو بيوسف وأخيه؟

هو يحنو عليهما ، ويرانا   سقطاً من متاعه يزدريه

« غيره ـ مشيراً الى يوسف »

ذلك الطفل كل شيء لديه   وسواه كبصقة من فيه

« شمعون »

نحن ، والله ، عصبة أقوياء   أى شيء يكون ، لو نرديه ؟

اقتلوه ، أو اطرحوه بأرض   فسيخلو بذاك وجه أبيه

« يهوذا »

لا أرى القتل ، بل هنالك جب   فى طريق الصحراء ، عند التيه

نأخذ الطفل من أبيه احتيالا   وإذا ما سرنا به ، نلقيه

« رأوبين »

فلنراود أباه عنه ، فهذا   خير رأى لبعده ، ننجيه

«يدخلون على أبيهم محتالين»

« شمعون ـ فى ابتسامة صفراء »

أبى ، إننا والله نرجو ونرغب   ليوسف، ما ترجوه أنت وترغب

« يهوذا »

له بين حبات القلوب مكانة — وحب دفين، ليس والله ينضب

« رأوبين »

نراه طروباً ، دائماً يألف الددا(١) — يميل الى اللهو البرىء ويطرب

« لاوى »

يعز علينا أن نراه كنعجة — يجىء بأرجاء الخباء ، ويذهب

« يساكر »

فمالك لم تأمن عليه سويعة — ليخرج فيها ! إن ذلك أوجب

« زبولون »

فأرسله فى الوادى لينمو جسمه — ففيه هواء يشرح الصدر طيب

« دان »

هنالك فى الصحراء شمس شعاعها — اذا أشرقت عند الصباح مذهب

« جاد »

رمال كذوب التبر فى حسن لونها — حصاها جمان ، أو عقيق مثقب

---

(١) الدد ، اللعب واللهو

« آشر »

سيرتع بين الشاء والإبل ، تارة   يسير، وأخرى حين يتعب يركب

« يعقوب ـ ممتنعاً »

بنى ، دعوه ، لا تشيروا بعده   فإنى عن تلك المشورة أرغب
أخاف عليه الذئب، والذئب فاتك   ولكن فتك المرء بالمرء أصعب

« شمعون »

تخاف عليه الذئب؟ ماخطبنا إذن   ومنا أسود الغاب تخشي وتهرب؟

« يعقوب »

اذا ماغفلتم عنه ، أخشى هلاكه

« شمعون »

أنغفل عنه؟

« يعقوب »

ربما

« شمعون »

أين نذهب ؟

« يوسف »

أريد أبى ، أن أخرج اليوم معهمو
أشاهد مالم أدره وأجرب

ولا تخش شيئا ، انما الموت واحد
وكل امرىء من حوضه سوف يشرب

« يعقوب »

نطقت صواباً ، ياحكيما ولم يزل صبياً ، بصحن الدار يلهو و يلعب

تعال ، أقبل ثغرك العذب قبلة فإنى، بماتبدى من القول، معجب

بها ارتوى مما بقلبي من الجوى ومن نار حزن في الفؤاد تلهب

ستخرج فيهم ، غير أنى شاعر بدمعة حزن من فؤادى تسكب

« يقبله قبلة حارة ، ويلتفت اليهم قائلا » :

بني ، خذوه فى هدوء ورقة وعطف،ولاتقسواعليه فيغضب

وكونوا له ، نعم الرفاق

« شمعون فى مكر »

نصحتنا وسوف ترانا عند نصحك، ياأب

«يعقوب ـ مشيعاً يوسف بنظراته وهم به ذاهبون»

فسر فى سلام الله ، ترعاك عينه
يسايرك التوفيق ، والله يرقب

ستار

المنظر الثانى

صحراء بها جب ، منظر إبل وشياة ، يوسف مع إخوته يسيرون

« شمعون ـ ليوسف بلهجة الحانق »

أرأيت فى كبد السماء كواكبا؟ كم ذا تلاقى فى الحياة نوائبا

« يوسف ـ فى سذاجة »

أوهكذا التأويل للرؤيا ؟

« شمعون »

نعم

« يوسف »

شمعون، مالك فى حديثك غاضبا ؟

فأبى ينبئنى السعادة والمنى والخير، والملك العظيم الطيبا

« شمعون ـ ساخراً »

أمل كأحلام الطفولة ، خائبا !

« يوسف »

ما كان رأى أبيك يوماً خائبا

« غيره »

أتؤمل الملك العريض، وأنت في سن ، بها تمسي وتصبح لاعبا ؟

« غيره »

دعه يؤمل مايشـــاء ، فإنه طفل يريد من المحال مآربا

وأبوه دلله ، وقوى عنـده هذا الخيال المستحيل الـكاذبا

« يوسف ـ غاضباً »

عيب عليكم أن تعيبوا رأيه أيسفه الأبنـاء ياقوم الأبا ؟

« أحد إخوته ـ وهو يهم بضربه »

عجباً لأمرك يارقيع !

« يوسف »

رويدكم ، من يا ترى منا ، له أن يعجبا ؟

« أحدهم ـ وهو يضربه »

صه يابن راحيل(١)

« يوسف »

وماذا خطبكم ؟ أمن المروءة أن أهان وأضربا ؟
أوتقتلون أخاكمو بسلاحكم ؟

« أحدهم »

ونريد من دم يوسف أن نشربا

« يوسف ـ خائفاً »

ماذا جنيت ؟

« شمعون »

ألم تحول وجهه عنا ؟ وكنت لديه ، أنت المجتبى

« يوسف ـ نادماً »

ما أصدق الأب حين اوصانى ، وقا
ل : احذرهمو ، ما كان إلا صائباً !

---

(١) ام يوسف وبنيامين ، وقد توفيت

« ينهالون عليه ضربا ، يقبل يهوذا ، وكان متأخراً عنهم »

« يهوذا – مدافعاً عنه »

لا تقتلوه ، فقد وعدتم رميه في الجب ؛ حتى يستطيع المهربا
فلربما مرت به سيارة وبذاك يسلك في البسيطة مذهبا

« يوسف ليهوذا – مستعطفاً »

يهوذا ، ترفق ، وساعد أخاك وأنقذه من شر هذا الهلاك
يريدون قتلي ، واخنتهم أناشدك الله ، فارحم أباك
سيسأل يعقوب ، أين ابنه فماذا تقولون عني هناك ؟

« يهوذا »

نقول : سطا الذئب منا عليه

« يوسف »

أتفضص بالكذب والإثم فاك ؟
ألست تخاف عقاباً شديداً على ما جنته على يداك ؟
تشير برمي ، وتقسو علي وكنت رحيماً ، فماذا اعتراك ؟

«ثم ينظر الى السماء قائلا» :

إلهى ، سألتك بى رحمة فمالى معين عليهم سواك

« يتأثر يهوذا ويبكى لبكائه »

« شمعون ـ ساخراً »

يهوذا تأثر من قوله وراح ينوح على شجوه
كأن يهوذا أب مفعد رمته المنية فى طفله

« ضحك وسخرية من الجميع »

« شمعون ـ ليوسف »

ألا ، اخلع قيصك

« يوسف »

لا

« شمعون ـ في شدة »

اخلعن

«يهوذا»

دعوه ، ليستر من جسمه



رأوبين خذه وسر مسرعا   إلى البئر في جوفها ألقه

« شمعون »

نريد القميص ،

« يهوذا »

لماذا إذن ؟

« شمعون »

لنلقي أبانا العشاء به

نقول : سطا الذئب منا عليه ولم يبق منه سوى ثوبه

ونصبغه بدم كاذب يكون دليلا على أكله

« ثم يخلعون قميصه عنوة »

« شمعون لرأوبين »

رأوبين ، خذه وسر مسرعا إلى البئر ، فى جوفها ألقه

« يلقى يوسف فى الجب وهو يبكى »

« أحدهم - وهم ذاهبون »

قضينا عليه ، ونلنا أبانا نعيش جميعاً على عطفه

يقربنا بعد يوسف منه ويخلو لنا الجو في بيته

« يهوذا ـ متأخراً عنهم متلفتاً إلى البئر »

عفا الله عنكم ، قتلتم أخاكم غداً تندمون على قتله

أينسى الأب ابنا عزيزاً عليه جميلا كيوسف فى حسنه

وإنما الابن من الأب شطر عظيم ، تقطع من كبده

« يطفأ النور ، ويسمع صوت يوسف داخل الجب »

« يوسف ـ فى لهجة المحزون الخائف »

أنا خائف . أنا مضطرب من ذلك الجب الخرب

قبر الحياة ، دفنت فيه على الحياة ، بلا سبب

في جوفه الموت الرهيب ، بين جنبيه العطب

بالأنس كنت منعما فى الدار ، يحلو لى الطرب

والآن ، أقضى ليلتى أطوى الضلوع على سغب

هل من سبيل أن أعود ، وتنجلى تلك النوب ؟

ماذا فعلت بإخوتى ؟ خانوا الأخوة والنسب

ضربوا مثالاً للجفا وللخيانة والكذب

مثـلاً سيبقى مزريا بهمو على مر الحقب
يتحدث التـاريخ عنـ هم قائلاً : ياللعجب !
يابئس ما صنعـوا به ألقوا به في قاع جب !
وتآمروا سراً على طفـل وديع لم يعب

*
* *

أنا فى الفضـاء معلق ويكاد يقتلنى النصب
والبرد نال مفاصلى فكأن جسمى من خشب

*
* *

أبتى ، ألم يخبرك عن حالى النسيم إذا يهب ؟
أولم ينبئـك الهلا ل ، بما أقاسى ، والشهب ؟
حتى تجىء لنجـدتى ومعونتى ، يا خير أب

*
* *

ربى ، سألتك رحمة أنت المفرج للكرب

« واذا بصوت يسمع من وراء ستار ، كأنه ملك يوحى إلى يوسف بالطمأنينة والثبات وانفراج الأمر »

« الملك الهاتف »

أيوسف ، صوتك هز الفضاء وشق دعاؤك حجب السماء
وسار حثيثاً إلى من دعوت فنجاك رب يجيب الدعاء
تصبر قليلا ، ولا تبتئس فما الصبر إلا سبيل النجاء
أولو العزم لا ينثنى عزمهم ولا يفزعون أمام القضاء
وأنت رسول ، وكل رسول مثال الكمال لحسن البلاء
وسوف تنبئهم آجلا بأمرك هذا ، وهم جهلاء
ورؤياك حق ، كما أولت وسوف تنال غدا ، ما تشاء
نجاة ، وعلم ، وحكم ، وملك عريض النواحى ، قوى البناء

« يوسف ـ مستغربا »

أحلم جميل ، أوحى أتانى ؟ يزف إلى جميل العزاء
أم الليل يبعث صوتاً غريباً لكل حزين كثير البكاء ؟

« الملك الهاتف »

هوالحق ، فاسمع ، وكن مؤمنا وكن مطمئناً لهذا النداء
وربك رحمته ترتجى ومن كالاله يجيب الرجاء ؟

« يوسف ـ شاكراً مطمئناً »

لك الحمد يارب ، إنى شكور   فأنت الكريم الجزيل العطاء
أجبت دعائى ، تقبل ثنائى   فإنك أهل لكل ثناء

« تقبل سيارة ذاهبة إلى مصر ، تلقى عصا التسيار قريباً من الجب للاستراحة من عناء السفر ، وكأنهم تركوا مطاياهم ومتاعهم بعيداً عنهم »

« كبيرهم »

سفر متعب ، أراه طويلا   فاستريحوا من العناء قليلا

« يجلسون »

« غيره »

من يغنى لنا ؟

« الجميع ـ مشيرين الى صفان »

صفان

« صفان »

دعونى

« واحد منهم »

غننا ياصفان لحنا جميـــلا

« صفان »

أنا والله ، متعب ، فدعونى

« غيره »

ما عهدناك ياصفان ، بخيلا

« رجل ضخم الجسم »

اتركوه ، فإنه ليس شيئا   صوته في الغناء يحكى العجولا

« ضحك من الجميع »

« صفان ـ على الفور »

أنت أولى بما نطقت !

« الرجل الضخم »

لماذا ؟

« صفان »

لك جسم ضخم يحاكى الفيلا

« ضحك ... »

« كبيرهم »

صاحبى ، اتركا المزاح ، فإنى   لا أرى كالمزاح داءً وبيلا
يخلق الشر، إن تمادى، ويزرى   ويعادى الخليل منه الخليلا

« الضخم ـ لصفان معتذراً »

إننى مخطىء ، وأنت عفو

« كبيرهم »

فلتقبل جبينـــه تقبيلا

« ينهض الضخم ويهرول ، ويقبل رأس صفان ، فيبتسم هذا ويأخذ العود ، ويغنى »

أغنية الليل

أيها الليل ، هجت مني شجوني ... مع مافيك من جلال السكون
وحشة فى جلالها هى أنسى ... وظلام أراه نور يقيني
أنت معنى الجمال ياليل عندى ... أنت ياليل ، أنت سر الفتون
تخذ الحب من ظلامك سترا ... ورآك العشاق خير أمين
كم قلوب على صدى الليل أنت ... وعيون جرت بدمع هتون !
كم بكى على خليل وفي ... كم فؤاد على بعاد حزين !

*
* *

فيك ياليل ، يستعيد خيالى ... ذكريات الهوى، وعهد المجون
حين كان الشباب يلهو غريراً ... بظباء ، وهبن سحر العيون
رائعات الجمال ، روحاً وجسما ... ناضرات كلؤلؤ مكنون
باسمات الثغور كالزهر صبحا ... ناعمات الحديث، مرضى الجفون
كن يمشين في الجزيرة عجبا ... فوق شط الغدير، تحت الغصون
فإذا ما خطرن سربا فسربا ... فاض عنى الهوى ، وجن جنونى

« أحدهم »

بديع

« غيره »

جميـل

« غيره »

مجيـــد

« غيره »

حسن

« غيره »

غذوت النفوس بشعر ، وفن

« غيره »

فشعرك حلو ، وصوتك عذب كما تصدح الطير فوق الفنن

« كبيرهم »

نريد المسير إذن ، ياصحاب فهاتوا المطايا ، وشدوا الركاب

« واردهم »

ولكننا في احتياج لماء

« كبيرهم »

خذ الدلو ، واملأ

« الوارد ـ خائفاً »

أخاف الذئاب

« كبيرهم »

جبان !

« الوارد »

ليذهب معي واحد

« آخر »

تعال ، فإني أريد الذهاب

« يذهب الوارد وزميله إلى البئر ، ويشتغل القوم بمتاعهم استعداداً للرحيل ، يدلى الوارد دلوه ؛ فيتعلق به يوسف »

« الوارد ـ مدهوشاً »

زميلى ، بشرى ، تعال إليا   فهـذا غلام جميـل المحيا

« يراه زميله فيدهش ، وينادى بصوت مرتفع قائلا » :

تعـالوا ، فإنا وجدنا غلاما

« يقبل عليه القوم مسرعين »

« يوسف »

حمدتك ربى ، عطفت عليـا

« كبيرهم ـ ليوسف »

ومن أنت ؟

« يوسف »

لاتسألونى

« كبيرهم »

ولم لا ؟

« يوسف »

لأنى لا أفقـــه الآن شيا

خذونى ليعقوب

« كبيرهم »

من ؟

« يوسف »

والدى

« كبيرهم »

خذوه ، نبعه

عزيز البـلاد يريد غلاما	سنهديه هذا الغـلام الفتيا
ننال رضـاه ، ونحظى لديه	فهيا احملوه إلى مصر ، هيـا

« يأخذونه معهم و يسيرون »

« يوسف »

أباع كبيع المتـاع رقيقـاً	وكنت، ومازلت ، حراً أبيا ؟
سأخضع للأمر ، والله حسبى	وأكرم به فى الخطوب وليا !

ستار

المنظر الثالث

« نفس المنظر الأول » يعقوب قلق لمغيب أبنائه إلى وقت العشاء ، ولما يحضروا ، وابنه بنيامين معه

« يعقوب »

لم يعودوا ، ونحن عند العشاء !   ما الذى جد من صروف القضاء ؟
أتراهم لأن فيهم أخاهم   لاهياً ، قد تأخروا للمساء ؟

« بنيامين »

ربما يا أبى ،

« يعقوب ».

وما يدرينا ؟

« بنيامين — وقد سمع صوت الأغنام التي يرعاها إخوته »

إننى سامع ثغاء الشاء

« ثم يرقبهم ، قائلا » :

أقبلوا يا أبى ،

« يعقوب ـ في لهف »

ويوسف فيهم ؟

« بنيامين »

هو فيهم لاشك

« يعقوب »

هذا رجائى

« يدخل إخوة يوسف على أبيهم يبكون ، وقد جاءوا على قميص أخيهم بدم كذب »

« يعقوب »

لاقدر الله ، ماهذا البكاء ؟ وما هذا القميص الذى اسقيتموه دما؟ وأين يوسف ؟

« شمعون »

ان الذئب ياأبتى سطا عليه ، وكنا نرقب الغنما

« ينظر يعقوب إلى يهوذا نظرة عميقة »



أوهذا الذى تسمون ذئبا ــــ يأكل ابنى ولم يمزق ثيابه ؟

« يهوذا »

يا أبانا ، إننـا قد ذهبنـا نستبق
وتركنا يوسفا لاهياً ، عند الغسق
وأتى الذئب ، ولم يبق فيـه من رمق

« يصمت يعقوب مدهوشاً » فيقول يهوذا :

لم تصدقنـا إذن أنت فينـا لا تثق

« يعقوب ـ وهو يفحص القميص متعجبـاً »

أمركم معضل ، شديد الغرابة ما حسبتم قبل المجيء حسابه
أوهذا الذي تسمون ذئبا يأكل ابني ، ولم يمزق ثيابه ؟

« ثم يرمي بالقميص بين يديهم غاضباً »

« يهوذا »

نحن ، والله ، يا أبانا صدقنا ورويناً من الحديث صوابه

« يعقوب »

يالكم من عصابة لم تراعوا حرمة ، أو أخوة ، أو قرابة ؟

فقصفتم غصن الغـلام رطيبا وأضعتم جمـاله وشبابه
هو أمر ، نفوسكم سولتـه وستلقون بعـد حين عقابه

« شمعون »

أقتلناه ؟

« يعقوب »

لست أدري ، فماذا كان منكم ؟

« ثم يشير الى رأوبين قائلاً » :

عليك أنت الإجابة

« رأوبين »

قضى الأمر يا أبي ، فتصبر وقضى الله ما أراد ، وقدر
هل ترد القضاء ؟

« يعقوب »

حاشا وكلا كل أمر على العباد مقدر

« يسكت قليلا ثم يستأنف الحوار مع رأوبين »

يا رأوبين ، لم تجبنى صريحاً أنت بالحق يارأوبين ، أجدر
إن عهدى بك الصريح، فماذا ياترى ألجأ الصريح لينكر ؟

« يتقدم يهوذا بالقميص وينشره أمام أبيه قائلا » :

يا أبانا ، ألم تصدق ؟

« يعقوب ـ غاضباً »

عجيب يا يهوذا ، دع القميص المزور
وقل الحق يا يهوذا ، فعار أن حقاً يضيع فيكم ، ويقبر

« بنيامين ـ في نغمة ساذجة مؤثرة باكية »

أبى،هل تولى، أم سيرجع يوسف أم انتابه ما بالخلائق يعصف ؟
وهل دمه هذا الذي في قميصه وهل هكذا الذؤبان في القتل تسرف
فأمسيت في الدنيا وحيداً فلا أخ يؤاسى، ولا أم هنالك تعطف ؟

«ثم يخرج باكياً ، فتظهر أمارات التأثر على أبيه ، وتدخل ليئة زوجه ، فيبتدرها يعقوب قائلاً » :

أليئة ، قد غضبت على بنيا

« ليئة »

لمـــاذا ؟

« يعقوب »

قد أتوا أمراً فريا

« لبئة »

وما هو ؟

« يعقوب »

إنهم قتـلوا أخاهم وجاءونى بحيلتهم بكيا
دموع من ما قيهم كذاب أسالوها لينتصروا عليـــا
وأكذب من دموعهمو، قميص ليوسف ، أحضروه هنا إليا
يقول القوم : إن الذئب وحش تناول جسمه الغض الطريا
ولست بغـافل والله ، حتى أصدق من حديث القوم شيا
فإما أنهم قتـــلوه عمدا وإما أنه مازال حيـا

« ليئة ـ مدافعة عن بنيها »

بنو يعقوب ليسوا كاذبينا أراهم فى الرواية صادقينا

ولـكن ، أنت ترميهم بإثم وتلبسهم ثياب المجرمينـا
لماذا يقتلون أخاً بريئـا وهم نسل الكرام المرسلينا ؟
وحقك ، يابن اسحق ، محال محال أن يكونوا قاتلينا

« يعقوب »

هكذا هكذا ، حديث النساء من نفاق ، وخدعة ، ورياء
أنت أم ، على بنيها حنون أنت يالي ، مثل كل النساء
تدفعين اتهامهم بحديث ليس يغني، وليس يبرئ دائي

« يبكي ويسترسل في الحديث »

إن دائي ، من بعد يوسف، مر وعضال ، ومستحيل دوائي
أنا شيخ محطم ، زاد حزني بعد من كان في الحياة عزائي
كان نجماً ، يضيء بيتي ونفسي كان بيتي به جميل الرواء
يوسف ابني، ويافؤادي وعيني كنت يايوسف الجميل رجائي

« زفرات حارة ، يحرك يده أمام عينه ويفزع ، ثم يقوم مضطرباً ، والكل وجوم وهو يقول » :

مالعيني ؟ أين أنتم ؟ تعالوا أأصيبت عيناي ؟ ياالشقائي !

« يقبلون عليه وهو يكاد يسقط ضعفاً »

« يهوذا »

يا أبانا ، لا تجزعن ،

« ليئة »

تصبر

« يعقوب »

كيف يالىء ، دفع هذا البلاء؟

« الجميـــع »

هون الخطب

« يعقوب »

كيف أستطيع هذا ؟ تطلبـون المحال ، يا هؤلاء
فدعونى ، وشأنى الآن ،

« يخرجون ، إلا ليئة ممسكة به ، ويدخل بنيامين باكيا ،
فيتعلق بثياب أبيه »

« يعقوب »

ربى أنت ، أنت الذى إليه دعائى
ابعث النور يارحيم ، لعينى أنت يارب ، لا ترد ندائى
واجمعنى بيوسف ابنى ، قريبا إننى واثق بحسن اللقـاء

ستار

الفصل الثاني
المنظر الأول

فطيفير عزيز مصر ، وزوجه زليخا جالسان في بهو فخم حسن الأثاث ، يوسف الشاب واقف في أدب وحياء

« العزيز ـ لزليخا »

يا زليخا ، لتكرمي مثواه ولتكن أمه هنا ، وأباه
خادم مخلص ، وجد أمين جل من بالكمال قد حلاه

« زليخا ـ في نظر إلى يوسف عميق وحب دفين »

وجميل ، كأنه من نور يملأ القصر حسنه وسناه
كيف باعوه ، وهو حر كريم تظهر النبل والحجا عيناه ؟

« يوسف »

هو فعل الزمان ، والدهر قاس يحمل المرء أن يخون أخاه
يجعل السادة الكرام عبيدا ذاك فعل الزمان، ما أقساه !

« العزيز »

لاتكن غاضبا ، فلست بعبد   أنت فى البيت ربه ، ترعاه
فزليخا عزيزتى ، لك أم   وادعنى ، إن دعوت ، يا أبتاه

« يوسف »

سيدى ، قد جعلتنى الآن عبدا   بجميل ، غمرتنى بنداه
إن فعل الجميل يأسر نفسى   لست أنسى الجميل ، لا أنساه
يشترى العبد بالدراهم ، لكن   يشترى الحر بالندى سيداه

« زليخا في عجب »

ينطق الحكمة الغلام ، ويأتى   بحديث كالدر ، زين فاه !

« العزيز »

منطق معجز ، وعقل كبير   من غلام ، لما يزل فى صباه !
بعد حين يصيب مجداً وحكماً   وقريباً ، ينال أقصى مناه

« تنهض زليخا ، مداعبة زوجها فى دهاء ، قصد خروجه »

« زليخا »

أظنك نبأتنى ، سيدى   بأنك كنت على موعد

أللقصر تذهب ؟

« العزيز »

حالاً

« زليخا »

محال فقم يا عزيزى ، إلى المرقد

« العزيز »

ولـكن فرعون يبغى أموراً

« زليخا »

تقضى الأمور صباح الغـــد

فما الليــــل إلا لباس وستر به المرء ياسيدى ، يرتدى

وأما النهار ، فكد وجد فنفسك نفسك ، لا تجهد

« العزيز ـ وهو يهم بالخروج »

دعينى ، اذهب ، ياسيدة فما أنت فى هـذه مرشـدة

وما اعتدت إرجاء ما أبتغى فهـذا هو العجز والمفسدة

ومن أخر الأمر ، فى يومه　　فسوف يلاقي الجـزاء غده
وفرعون لا يفلت المهملين　　وما أنا ممن عصى سيده

« يقبلها وهو خارج قائلا » :

سلاماً زليخا ، يحا كى الزهور

« زليخا »

سلاماً ، متى قد يكون الحضور؟

« العزيز »

سأرجع حين يريد المليـك　　وأحضر بعد انقضاء الأمور

« تغلق الأبواب بعد خروج زوجها ، ثم تقبل على يوسف »

« زليخا »

وأنت ؟

« يوسف »

ومن أنا ؟

« زليخا »

أنت الذى　　تملك قلبى

« يوسف ـ في نفسه »

حديث الفجور !

« زليخا ـ وهى تجلس »

تعال ، وهات المدامة ، واملأ   لنا أكؤساً من عتيق الخمور
فإنى أريد سويعات لهو   وأرجو لديك انتهاز السرور

« يملأ يوسف الشراب ويقدم إليها كأسين »

« يوسف »

تناولى

« زليخا »

هاتها ، واجلس هنا جارى   واشرب

« يوسف »

فديتك ، عيب ربة الدار

« زليخا »

ما العيب ؟

« يوسف »

أن أحتسى خمراً ، وأنت معى

« زليخا ـ وهى تجذبه للجلوس ، مقدمة له الكأس »

لاعيب ، مادام عن إذنى وإقرارى

« يوسف ـ مضطرباً »

لكن ... لكن !

« زليخا »

ماذا ؟

« يوسف »

أنت سيدتى

« زليخا »

لا ، أنت موضع آمالى وأفكارى

اشرب ، ولا تك مبهوتاً ومضطربا

« يوسف »

الخمر فى نظرى والله ، كالنار

« زليخا ـ ضاحكة »

كالنار فى اللون ؟

« يوسف »

والإحراق

« زليخا »

واعجبا !

« يوسف »

لا تعجبى ، إن فيها خمس أضرار

للعقل ، والجسم ، والأخلاق ، مفسدة

للمال مضيعة ، جلابة العار

« زليخا »

الخمر فيها نعيم لست تعرفه   الخمر موضع إجلالى و إكبارى





إن ربى بكل شيء عليم   كيف أعصيه ؟ يا زليخا دعيني ؟

فاشرب على سرنا ، وانعم بلذتها وخلص النفس من حزن وأكدار

« يغافلها يوسف ، وهي تخلع ملابسها ، ويصب الكأس على الأرض إذعاناً لأمر سيدته ، تقبل هي عليه في قميص فضفاض ، وتعانقه في إغراء »

« زليخا »

قبل الثغر ، واثنى باليمين أنت روحي وخاطري ، أنت ديني

وتمتع بما تحب وتهوى

« يوسف ـ في إباء »

يازليخا ، تعففي واتركيني

إن ربي بكل شيء عليم كيف أعصيه ؟ يازليخا دعيني

« زليخا »

يغفر الله الذنوب جميعاً

« يوسف »

كل شيء إلا الزنا ، فاعفيني

وفطيفير سيدى ، لم يهنى | بل حبانى بكل ما يرضينى
هل جزاء الإحسان كفر وخون | شد ما أسرع الردى للخئون!

« ويسرع الى الباب »

« زليخا ـ فى غضب »

قف قليلا ، فأنت عبد لئيم | كيف يا أيها الفتى تعصينى ؟

« يوسف ـ ملتفتاً »

أنا عبد ؟

« زليخا »

نعم

« يوسف ـ فى ثبات »

ولكن كريم | حافظ للعهود ، جد أمين

« زليخا ـ لنفسها »

ما لهذا الفتى يفر ويأبى | كلما رمته، يقول اتركينى!
وهو يرمى سهامه نحو قلبى | بكلام ، سهامه تدمينى

سوف أحتال بالدلال عليه　　إنما الدل من ضروب المجون

« ثم تقبل عليه محتالة قائلة » :

لا تكن غاضباً ، فأنت جليل　　لست عندى بخادم أو مهين

واعف عنى ، اذا أسأت

« يوسف »

أحقاً ؟　　أم كلام مزخرف ، يغوينى

« زليخا »

يوسف ، اجلس ، هنا نتفاهم　　فى هدوء وحكمة وسكون

« يوسف »

نتفاهم ؟

« زليخا »

نعم

« يوسف »

علام ؟

« زليخا ـ وهي تجلسه »

على أن تتغاضى عن الحديث المشين

« يوسف »

إن يكن ذلك الكلام صواباً فلماذا إلى الخنا تدعيني ؟

« زليخا ـ في تنهد وأنين وتوسل »

هو قلبي، وما لشخصك عندي من هيام بين الضلوع دفين
إنما الحب للبصائر يعمي وهو يطغى على العفاف المصون
لا تلمني على الرذيلة ، اني في اضطراب من الهوى وجنون
أنت ، أنت الذي استبد بقلبي واستباح الدموع ، فارحم أنيني

« ثم ترتمي على قدميه ، ويوسف في وجوم وحيرة وارتباك وتفكير عميق ، يطفأ النور في المسرح ، ويتمثل له شبح شيطاني عن يساره برداء أسود يغريه »

« الشبح الشيطانى »

متــع شبابك بالجمـال وانعم بربات الحجـال
ولتنتهز فرص الحيــا ة ، فما الحياة سوى الجمال
ماذا يضـــيرك يا فتى لو نلت منهـا ماينـال
هى غادة هيفـاء ، بيـ ن جنبيهـا سطع الهلال
عينان نجلاوان ، فى جفنيهمـا السحر الحلال
جسم يشـع نضــارة فى الحسن ليس له مثال
كاللؤلؤ المكنون ، يبـ مث فى الشباب قوى الخيال
لا تجبنن ، فليس هـ ذا الجبن من خلق الرجال

« يغيب الشيطان متقهقراً ، واذا بشبح ملك عن يمينه يرتدى رداء أبيض ، يحذره »

« شبح الملك »

إياك والشيطان ، فالشـ يطان يدعو للضــلال
لا تتبـــع خطواته فهى السبيل الى الوبال
لا ترم نفسك فى الرذ يلة ، ولتكن عف الخلال

واخش الإله ، فإنه لا يرتضى تلك الفعـال
يدعوك ربك ، فاستمع والله ربك ذو الجلال
أن تعصم النفس التى نشأت على سنن الـكمال
ليس الجمـال كما ترى إن العفاف هو الجمال

« يختنق الشبح ، وينار المسرح ، تتحرك زليخا ناهضة »

« يوسف ـ متقهقراً »

ماكنت يوماً عاصياً ربى إله العـــالمين
وأنا ابن ابراهيم ، ه ذا الطاهر العف الأمين
وأنا ابن اسحق الـكري م النفس، وضاح الجبين
وأنا ابن يعقوب المبـا رك ، صاحب الخلق المتين

« ثم يسرع نحو البـاب فراراً ، فتدركه زليخا
وتمسك بقميصه فيتمزق من خلف ـ يفاجئها
العزيز داخلاً مع أحد أقاربها »

« زليخا ـ للعزيز »

ماجزاء الذى أراد بأهلك فعلة السوء ياعزيز ؟

« العزيز ـ غاضباً »

سيهلك

« زليخا »

فله السجن ، أو عذاب أليم

« العزيز ـ ليوسف »

خنتنى ياغلام ، تباً لجهلك !

« يوسف »

لم أخنكم ، هى التى راودتنى

« العزيز »

زدتنى حيرة وشكاً بقولك

« ثم يلتفت إلي زليخا قائلاً » :

كيف هذا ؟

« زليخا »

وهل تصدق هذا ؟ إن هذا الغلام يلهو بعقلك

« العزيز – ليوسف »

أتقول الصواب ، أم أنت ترجو من وراء التشهير إنكار فعلك ؟

« يوسف »

إن ماقلتـه الصواب ، وإنى غير ناس ، طول الزمان لفضلك
هي ياسيدى ، خئون كذوب لم أجبها لما أرادت ، لأجلك
ولأنى أخاف رباً عليماً بالذى كان من مطامع أهلك
جذبتنى ، ومزقت لى قميصى ورمتنى بالإثم

« ثم يخاطب قريبها »

فاحـكم بعدلك

« قريبها – في تؤدة »

إنـ ربى بكل شىء عليم غير أن القميص حل حكيم
إن يكن قد من أمام ، فهذا أنها دافعت ، وذاك لئيم

واذا كان قد تمزق من خلف ، فهذا الفتى صدوق كريم

« العزيز »

ولماذا اذا تمزق من خلف ، فهذا الفتى عفيف كريم ؟

« قريبها »

إن هـذا معناه ، أن فتاكم كان يبغى الفرار

« العزيز »

رأى سليم

« و يتقدم الى يوسف ليرى قميصه ، وهو يقول » :

أرنا القـد ياغلام

« فيراه تمزق من دبر ، فيقول لزليخا » :

عجيب ! ان كيد النساء كيد عظيم

« تخر زليخا ساقطة على الأرض خجلاً »

« العزيز ـ ليوسف »

لا تشع أمرها

« يوسف »

سأكتم سرى فذيوع الفحشا خلق ذميم

« العزيز – لزليخا وهو خارج ووراءه قريبها فيوسف »

يازليخا ، عفوت عنك ، فتوبى ان ربى هو الغفور الرحيم

ستار

المنظر الثانى

مائدة موضوعة فى حجرة من قصر العزيز ، خادم وخادمة يضعان فوقها أطباق التفاح والسكاكين ، و يصفان المقاعد

« الخادمة ـ لزميلها سراً »

أأنت عليم بما قد جرى ليوسف أمس ؟

« الخادم »

وماذا جرى ؟

« هى »

لقد فاجئوه ، وكانت زليخا تحاول أن تفعل المنكرا

« هو »

وكيف علمت ؟

« هى »

سمعت بأذنى حديث النساء ، وسوف ترى

« هو ـ ضاحكا غير مصدق »

حديث النسا ؟ كفانى كلاما فهن يجدن الحديث تماما
ثلاثة أرباعهن لســـان وربع به يزدردن الطعاما

« هى »

كأنك ياسيدى ، لم تصدق

« هو »

وكيف أصدق هذا الـكلاما ؟

زليخا العزيز ، على مجدهـا تراود فى الفسق هذا الغلاما !
وأين العفاف ؟ اذا ما اشتهت أميرة قصر ، فتاها ، حراما ؟

« هى »

أليس جميـــلا ؟

« هو »

بلى

« هى »

إنهـا تهيم بهذا الجمال هيـاما

ولما أشاع النســاء الحديـ ــث،أقامت لهذا الحديث اهتماما
دعتهن هـذا المسـاء اليهـا لتدرأ عن نفسها الاتهاما
« يسمعان وقع أقدام ، ويلمح الخادم زليخا قادمة »

« هو »

إن الأميرة حاضرة فلتسكتى ، ياماكرة
« يشتغلان بإعداد المائدة ، تدخل زليخا مشرفة على
النظام ، فتقول » :

هذا نظام شائق ان الوليمة فاخرة
فلتخرجا ، ولتخبرا نى ، عند أول زائرة
« يخرج الخادمان ، وتشتغل زليخا ببعض شئون
المائدة ، ثم تقطع المسرح ذهابا و إيابا ، وهى تقول » :
إنا سنقضى ليـــلة مع من دعونا ، ساهرة
سأرى النساء الماكرا ت ، مكانتى فى الحاضرة
لله ، ما أقسى النسا ء ، زعمن أنى فاجرة !
وأشعن عنى ، أننى لست الفتـاة الطـاهرة

حتى أراود خادمى شأن البغى العاهرة
لو كن يعرفن الفتي لعذرن نفساً حائرة
خضعت لسلطان الجما ل ، وللعيون الساحرة

« تدخل الخادمة قائلة » :

ربة القصر ، جاء بعض النساء

« زليخا »

أدخليهن ها هنا ، فى حياء

« تدخل ثلاث نساء ، فتستقبلهن زليخا قائلة » :

مرحباً مرحباً ، وأهلاً وسهلا إن قصرى بكن جم الرواء

« إحداهن »

زادك الله يا أميرة فضلا فيك جود ، وفيك حسن لقاء

« زليخا »

إن قصرى لكن بيت ، وإنى لضيوفى الكرام إحدى الإماء

« الثانية »

يازليخا ، هذا كثير !

« الثالثة »

ولم لا؟ وهى مهد الندى وبيت السخاء؟

« زليخا »

لا تكلن الثناء في جزافا

« النساء »

أنت أهل لكل هذا الثناء

« تجلسهن ، وتعطى كل واحدة منهن سكينا ، وهى تقول » :

يا صديقات ، للوليمة هيا خذن تلك المدى ، وكلن هنيا

إن هذا التفاح حلو مذاقا

« إحداهن »

لونه يشبه الحلى الذهبيا

« غيرها »

وهو كالورد فى الرياض ، احمرارا

« غيرها »

واصفرارا ، كالآس يبدو نديا

« الأولى »

و بياضا ؟

« الثانية »

وفى البياض ، يحاكى كوكبا في صفائه ، دريا

« الثالثة »

غاب عنكن ، ماله من طيب

« غيرها »

انه يبعث الأريج زكيا

« زليخا »

كلنه ، كلنه ، كفاكن وصفا كلنه كلنه ، طعاماً شهيا

« يبدأن فى تقشير التفاح وأكله ، وهنا تستأذن زليخا قائلة » :

أتأذن لى بالخروج قليـلا ؟ سآتى ولست أغيب طويلا

« إحداهن »

إليـك الـذى تبتغين ، فإنا صواحب بيتك

« زليخا »

أحسنت قيلا

« تخرج زليخا لتأمر يوسف بالدخول عليهن ، ويدور بين النساء الحديث الآتى »

« إحداهن »

أربة هـذا المجد والجاه والغنى تراود مملوكا ، على الفحش والخنا ؟

« غيرها »

صغيرة نفس ، قبح الله فعلها تخون الذى أبقى عليها وأحسنا

« غيرها »

لقد وصمت بالعار بيتاً مشرفا وقد لوثتـه بالرذيلة والزنا

« غيرها »

وهذا العزيز الغر ، يرضى بقاءها ويتركها بعد الفضيحة ها هنا

« غيرها »

ويبقى فتاها ، ناعما فى ظلاله !

« إحداهن »

لقد كان فى هذا ، حكيما ومحسنا

« صاحبتاها »

وكيف ؟

« هى »

لأن الستر للعرض حكمة وما كان خيراً أن يثور ويعلنا

« هما »

ولكنه جبن

« هى »

وللجبن موطن كما أن للاقدام والبأس موطنا

على أنها لم تأت بالفعل منكرا وهذا الذى من شدة الخطب هونا

« يدخل يوسف وزليخا وراءه » فلما رأينه أكبرنه

وقطن أيديهن »

« إحداهن ـ في دهش »

أهذا فتاك الجميــل الوسيم ؟

« زليخا ـ في زهو »

نعم هو

« الجميع »

هذا ملاك كريم !

« أخرى »

تبـارك ربى ! له روعة يفيض عليـه جلال عظيم !

« غيرها »

له بسمة الصبح فى حسنه وخفة ظل ، تحاكى النسيم!

« غيرها »

أهذا ابن آدم ؟

« غيرها »

لا ، إنه ملاك ، سرى من جنان النعيم!

« غيرها »

كأن الجمـــال له وحده لهذا اصطفاه العـــزيز العليم !

« زليخا »

ماذا ترين ؟

« الجميع »

جمال جل باريه

« زليخا »

« فذلـكن الذى لمتننى فيه »

أمرته ، فعصى أمرى لأن له خلقاً أبيا من الفحشاء يحميه

وإننى لا أزال اليوم أرغبـه وان عصى، فبقاع السجن أرميه

« إحداهن »

إنا عذرناك يازوج العزيز ، على هذا الجمال ، وهذا الدل والتيه!

« غيرها »

وقد ظلمناك يازوج العزيز ، ولم نحسن بك الظن ، فيما لم تؤديه

« غيرها ـ ليوسف »

وأنت مالك لم تخضع لما أمرت؟

« يوسف ـ غاضباً بصوت مرتفع »

أعوذ بالله ، من كيد وتمويه
تدعونني لأمور لست أفعلها   أنزه النفس عنها كل تنزيه
يارب ان ظلام السجن أفضل لى   من منكر ، لست يار باه آتيه

« يدخل العزيز على هذا الصوت »

« العزيز »

إنى سمعت دوى الصوت ، ما الخبر ؟

« يوسف »

ياسيدى ، ان مصراً ، كلها عبر

« العزيز »

هل من جديد ؟

« يوسف »

نعم ، فى قصركم دخل　　منه السماء ومنه الأرض تنفطر
إن القصور إذا لم يبن داخلها　　على العفاف ، تداعت ثم تندثر

« العزيز ـ وهو يتجه للنساء »

لقد فهمت ، وما خطب النساء إذن ؟

« هن »

لا شيء يا سيدى

« زليخا ـ مشيرة إلى يوسف »

هـذا الفتى خطر

« العزيز »

علام ؟

« النساء »

يفتننا من حسن طلعته　　كأن طلعتـه فى حسنها قمر

« العزيز ـ غاضباً »

ياللوقاحة !

« زليخا »

ماهذا السباب ؟

« العزيز »

أفي بيت العزيزعلى الفحشاء مؤتمر؟

وهل نسيت مساءً ؟

« زليخا »

أنت تحقرني

« العزيز »

وكل من يفعل الفحشاء محتقر

« تتسلل النساء و يشيعهن يوسف بنظرات الاحتقار »

« زليخا »

وهل فعلت ؟

« العزيز »

نعم

« زليخا »

لا

« العزيز »

أنت خاطئة   فإنما الفعـل بالنيـات يعتبر

«زليخا »

وهل تريد سراحى؟

« العزيز »

لست أرغبه   فالصبر خير، إذا ماعاكس القدر

« زليخا »

إذن ستصفح عنى

« العزيز »

ذاك من شيمى   فالصفح أجمل ، والآثام تغتفر

« ثم يلتفت إلى يوسف قائلا »

يايوسف ، اسمع

« يوسف »

نعم

« العزيز »

نفسى معذبة يكاد قلبى من الآلام ينفجر

« يوسف »

ومم ياسيدى ؟

« العزيز »

من حادث جلل فسوف تسجن كى لا يعظم الخطر

« يوسف ـ في ألم شديد »

هذا هو الظلم ، لكنى سأدخله وإننى فى غد بالله منتصر

ستار

الفصل الثالث

المنظر الأول

يوسف فى السجن ، ومعه فتيان ، رئيس السقاة ، ورئيس الخبازين لفرعون

« الساقى »

يبعث السجن الظلاما   وأرى فيه الحماما
أنت يا دهر ، ظلوم   تأخذ الناس انتقاما

« يوسف »

أيها الصاحب ، مهلا   وتحمل أن تضاما
إنما الأيام ترمى   بيد الدهر السهاما
ويد الدهر صناع   فهى تصطاد الكراما

« الساقى - باكيا »

كنت يا يوسف ، أسقى   صاحب الملك المداما

كان يرعانى مليكى ويواليني احتراما
وهنا الدهر صفالى وظننت الصفو داما
وإذا بالدهر يسقيـ ـنى من الأكدار جاما
واصطفى فرعون قوما كالثعابين لئاما
وسعى الواشى ، بأنى سوف أسقيه السماما
فرمانى فى ظلام الـ ـسجن ، ظلما واتهاما

« يوسف ـ يصبره »

فلتكن ياصاح ، جلدا صادق العزم ، هماما
لاتكن كالطفل يبكى لست ياهـذا ، غلاما

« الساقى »

أنا مظلوم

« يوسف »

وللمظ لوم ، عين لن تناما
هى عين الله ، فاصبر وغدا تلقى السلاما

« الساقى متصبراً »

يانفس لاتجزعى، ولتجملى الصبرا فالله يخلق بعد الشدة اليسرا
إنى سأكتم آلامى وأكظمها ولو مكثت بسجنى المظلم الدهرا

« ثم ينظر الى الخباز وهو نائم ، ويقول لنفسه » :

ياعين نامى ، فكم فى السهد من ألم وكم سهرت على الآلام والذكرى !

« يوسف »

ياصاحب السجن نم فالنوم عافية وخذ لنفسك من حلو الكرى قدرا
نم ياصديقى ، ولا تجزع لحادثة كم حادث جل عن هذا وقد مرا

« سكون — تأخذهما سنة من النوم ،
ثم يقوم الساقى مفزعا »

« الساقى »

يايوسف ، اسمع

« يوسف »

نعم

« الساقى »

رؤيا مروعة فقد رأيت ، كأنى أعصر الخمرا

« هنا يستيقظ الخباز ، و يقول ليوسف »

وقد رأيت أنا ، خبزاً أسير به والطير تأكله ، علي أرى خيرا

فهل تؤول رؤيانا وتخبرنا ؟ إنا نراك تقيا عالما حبرا

« يوسف »

نعم ، سأعبر ماشاهدتماه لكما إنى أحيط به ياسيدى خبرا

بشرط أن تؤمنا بالله ربكما وتتركا ماعليه القوم فى مصرا

هم يعبدون بغير الحق آلهة لايملكون لهم نفعا ولا ضرا

*
* *

مالي أرى الناس تاهوا فى غوايتهم حتى استحبوا العمى ، واستعذبوا الكفرا

إنى براء من القوم الذين طغوا ولست أعبد إلا الواحد البرا

« الساقى ـ لصاحبه »

هذا الفتى بجمال الخلق متشح تفيض أخلاقه ياصاحبي طهرا

« الخباز »

وفيه نبل ، وفى أخلاقه شمم   يدعو الى الحق ، لا يخشى الردى جهرا

« يوسف »

والآن ، فلتسمعا تأويل حلمكما   فالله علمنى التأويل والسرا

« يبديان اهتماما واصغاء »

« يوسف ـ للساقى »

ياصاحب الخمر ، إن الدهر مبتسم   فالخمر تنبىء بالأفراح والبشرى

غدا تعود لرب التاج ساقيها   وسوف تلقى على أعدائك النصرا

« الساقى ـ مدهوشا »

أصادق أنت فى التأويل ؟

« يوسف »

سوف ترى

« الساقى ـ فرحا »

ياسيدى ، إنى أهدى لك الشكرا

أعدت لى أملا ، قدكان منقطعا فكيف أجزيك ؟

« يوسف »

إنى لم أرد أجرا

لكن لى حاجة أفضى اليك بها فقد سئمت لعمرى ، ذلك القبرا

إذا رجعت الى فرعون ، تخبره أمرى ، فيدفع عنى الضيق والعسرا

وقل له : انى من غير ما سبب يدعو الى السجن ، ذقت السجن والمرا

لعله بعد هذا الظلم ينصفنى و يصطفينى اليه أخدم القصرا

« الساقى »

إنى سأحمل هذا الأمر في عنقي وسوف أحسن عنك القول والذكرا

« الخباز ـ ليوسف فى لهف »

وكيف تنبئنى ؟

« يوسف »

ياصاح معذرة رؤياك تحمل فى تأويلها شرا

« الخباز في جزع »

ماذا يكون مصيرى ؟ إننى قلق

« يوسف »

صلب، وقتل، ورأس يطعم الطيرا

« الخباز ـ مضطربا »

كذبتنى

« يوسف »

لم أقل ياسيدى ، كذبا وسوف تدرى قريبا ذلك الأمرا

« يدق الناقوس ايذانا بقدوم مندوب
الملك ليتلو الحكم على المسجونين ،
يدخل المندوب ومعه جنديان »

« المندوب ـ بصوت خشن »

باسم فرعون ، رب تلك البلاد صاحب الحكم فى رقاب العباد
جئت أتلو على سجينين منكم مارآه المليك ذو الأوتاد
أين ساقى الشراب ؟

« الساقى ـ لنفسه وهو يقف »

يارب ، خيرا   أنت يارب ، فى الخطوب عمادى

« المندوب »

أنت ياساقي الشراب ، طليق

« الساقى ـ في فرح »

أحمد الله ، نلت أقصى مرادى

« المندوب »

أين هذا الخبـاز ؟

« ينهض الخباز وهو لايكاد ينطق »

« المندوب »

أنت مدين   قرنوه بكامل الأصفـاد

قد حكمنا عليك بالشنق صلبا   فخـذوه ، خذوه للجـلاد

« يسقط مغشياً عليه ، فيقيده الجند ويحملونه »

ستار

المنظر الثانى

نفس المنظر الأول ، يوسف لايزال فى سجنه ، وقد تغير بمرور الزمن ، وظهرت عليه أمارات البؤس

« يوسف ـ فى نغمة شجية باكية »

مضت السنون ، ولا أزال سجينا أقضى الليالي حسرة وأنينا
عبثاً أحاول أن تبرأ ساحتى وأنا البرىء ، وقد سجنت سنينا
أين العدالة ؟ فى بلاد أصبحت حصنا لظلم الظالمين حصينا

« ثم ترجع به الذكرى الى الساقى ، وكيف نسى وعده فيقول »:

يأيها الساقى ، نسيت ظلامتى انى هفوت ، بأن طلبت معينا
ما كان أجدر أن أبث شكايتي لله ، حتى لا أكون مهينا !
يارب ، مغفرة لعبد ، لم يزل يزداد بالله العظيم يقينــا

« واذا بالساقي يدخل عليه ، من قبل فرعون »

« الساقى »

ياسيدى عفوا ، على هفواتى   إنى نسيت العهد من سنوات

« يوسف »

لا لوم ياساقى ، فربك وحده   من يرتجى فى الضيق والغمرات
وأنا المقصر، إذ رجوت وساطة   والمرء لا يخلو من العثرات

« الساقى ـ يقص عليه رؤيا الملك »

يأ يها الصديق

« يوسف »

هل من حادث ؟

« الساقى »

فرعون من رؤيا ، على جمرات

« يوسف »

ماذا رأى ؟

« الساقى »

مرعى خصيبا ممرعا ترعى به سبع من البقرات
كانت سمانا ، ذات شكل رائع مكتظة بالشحم والعضلات
وإذا بسبع غيرهـا مهزولة أكلت سمان الجسم ، في لحظات

*
* *

ورأى سنابل سبعة مخضرة قامت على سيقانها ، نضرات
وإذا بسبع سنابل مصفـرة هجمت على هاتيك ، مبتلعات!

*
* *

نهض المليك من المنام ، مفزعاً تبدو عليـه علائم الدهشات
وأراد من كهانه ، أن يعبروا ماقد رآه ، بحـكمة وأناة

« يوسف »

هل أولوا رؤياه ؟

« الساقى »

كان جوابهم أضغاث أحلام ، وضعف سبات!

فرجعت بالذكرى لما أخبرتنى   من صدق تعبير ، وقول ثقات
وذكرت للملك المنام مفصلا   وذكرت ، كيف عبرته بنجاتى
ولذاك ، أرسلنى مليكى ، سائلا   عن سنبلات القمح ، والبقرات

« يوسف ـ يعبر الرؤيا »

يأتى على ملك البلاد وشعبه   سبع ، تفيض بوافر البركات
فالناس فى رغد ، وعيش ناعم   والأرض تنبت أطيب الثمرات

*
* *

فإذا انقضت تلك السنون تحولت   حال البلاد إلى سنى الأزمات
وهنا يبيد الشعب ، إن لم تخزنوا   قمحا ، يقيه غوائل السنوات

« الساقى ـ فى عجلة »

أحسنت ياصديق ، فى التعبير   إنى سأذهب مسرعا ، لأميرى
وسأخبر المولى ، بما حدثتنى   وأعود ، فى وقت اليك ، قصير

« ويخرج مسرعا . و يأتى حارس السجن
بطعام ليوسف »

« الحارس »

خذ يافتى

« يوسف »

ماذا سنطعم ياترى ؟

« الحارس »

جئنا بزبد طيب ، وفطير

« يوسف »

أتقول زبدا ؟ ماعهدتك مازحا ! فمتى يكون السجن قصر وزير ؟

« الحارس »

هذا طعامى

« يوسف »

قد رأيتك محسنا وأراك ذا عطف علي ، كثير !

« يضع الحارس الطعام ، و يأ كلان معاً »

« يوسف »

عجباً ! أتطعمنى طعامك، سيدى   وتخصنى بالعطف والتقـــدير
وأنا المهين، نزلت سجنك صاغرا   والسجن مهد الذل والتحقير ؟

« الحارس. »

دع عنك هذا ، ليس مثلك مجرما   حتى يعامل ها هنـا كحقير
فى خلقك النبل الذى لا ينبغى   إلا لشخص بالسمو جـدير
وجه يعبر عن خلاق طيب   إن الوجوه صحيحة للتعبير

« يوسف »

شكرا

« الحارس »

علام الشكر ؟

« يوسف »

أنت جعلتنى   بالعطف والإحسان شبه أسير

مضت السنون على السنين ، ولا أرى
إلا معـــاملة تريح ضميريـ
تسـدى لي المعروف كل صبيحة
ولدى المساء ، تكون خير سمير
« يقف يوسف عن الطعام شبعاً »

« الحارس »

كل يافتي

« يوسف »

حمداً لرب مفضل والله ذو فضل علي ، كبير

« يهم الحارس بالخروج ، ويقبل الساقى رسول الملك إلى يوسف »

« الرسول ـ ليوسف »

أيها الصادق النزيه الحكيم لك حظ عنـد المليك ، عظيم
ولك اليوم عند فرعون ، شأن ومقـام فى مصر ، سام كريم

*
* *

حين أخـبرته تأثر ، حتى كاد عن عرشه العظيم يقـوم
ثم أبدى فرعون فيك اهتماما واعترى القوم دهشـة ووجوم
قال : هاتوا الفتى إلي سريعا كيف يلقى في السجن هذا الحكيم؟
وهو الآن في انتظارك

« يوسف ـ يقاطعه بشدة »

دعني أنا في السجن يارسول ، مقيم
ارجع الآن للمليك ، وسـله عن نساء ، لهن خطب جسيم
يوم كنا هناك ، عند زليخا وبقصر العزيز ، كنا نقيم
يوم قطعن بالسكاكين راحا وبدا لي منهن فعـل ذميم
يوم كاد النساء لي ، ولربي « إن ربي بكيدهن عليم »
« يهم الرسول بالخروج »

ستار

الفصل الرابع

قاعة الملك ، وفرعون جالس على العرش ، ومعه كبير وزرائه الساقي يقدم الشراب ، خدم وحجاب

« فرعون ـ للساقى بعد احتساء الكأس »

إنى بعثت إلى النساء رسولا   حتى أرى أمر الفتى المجهولا

فاذهب اليه ولا تجىء إلا به   فلقد رأيت كلامه معقولا

« الساقى »

سمعا لمولاى العظيم وطاعة   ما زال عرشك بالعلا مشمولا

« ويخرج لإحضار يوسف »

« الوزير »

مولاى ، من هذا الفتى؟ ماخطبه؟   ومن النساء ؟

« فرعون »

ستعلم التفصيلا

كان الفتى عند العزيز

« الوزير »

عرفته قد كان خادمه ، وكان جميلا

وسمعت قصته التي من أجلها سجن الفتى السجن المريرطويلا

« فرعون ـ مهتما »

ماذا سمعت ؟

« الوزير »

إشاعة مرذولة أرخت عليها الحادثات سدولا

« فرعون »

زدني وضوحا

« الوزير »

إن زوج عزيزه تخذت فتاها عاشقا وخليـلا

ورأى العزيز السجن خيرا للفتى ليصون أعراضا ، ويمنع قيلا

« يدخل حاجب ، يقول للملك » :

مولاى ، بالبابِ المقدس نسوة　　　يطلبن ياملك الملوك ، دخولا

« فرعون »

يدخلن

« الحاجب »

سمعا يا مليك وطاعة

« الوزير ـ هاما بالخروج »

مولاى ، مكثى قد يعد فضولا

أو يأذن المولى؟

« فرعون ـ فى شدة »

تصبر واتئد　　　فالأمر يا هذا ، أراه جليلا

أولست تدرى، أن ذياك الفتى　　　عبر المنام ، وأحسن التأويلا ؟

فى حين رهبان البلاد تعثروا　　　فى الحل، لم يجدوا اليه سبيلا ؟

« يجلس الوزير ، وتدخل زليخا تتقدم النساء الثلاث ، ويركعن أمام فرعون »

« زليخا »

فرعون ، ياتاج البلاد وفخرها « ما زال عرشكمو يظل النيلا »
جئنا الى العرش المقدس ركعا فإلى إمائك ، قد بعثت رسولا

« فرعون »

من أنت ياهذي ؟

« زليخا »

زليخا ، سيدى حضرت، لتشرف بالمليك مثولا
ومعى صواحب جئن ساحة ملككم طوعا ، يقبلن الثرى تقبيلا

« فرعون »

اجلسن

« زليخا »

عفوا يامليك

« فرعون »

إرادتى إنى أريد حديثكن قليلا

« زليخا »

سمعـــا لمولانا ورمز حياتنا ما زلت يامالك الورى مأمولا

« يجلسن على الأرض راكعات »

« فرعون ـ لوزيره »

إنى أريد سؤالهن عن الفتى لأرى الصواب، وأبعد التضليلا

« الوزير »

خيراً فعلت ، فأنت أول حاكم عدل، يقيم على الخصوم دليلا

« فرعون ـ يشير إلى إحداهن »

قوى ياهـــذه ، ولتسمعينا حديثك ، واحلفى قبل اليمينا

« هى ـ واقفة »

علام ؟

« فرعون »

على فتى ، قد كان يوما على قصر العـزيز فتى أمينـا

« هى »

أيوسف ، يامليك ؟

« فرعون »

نعم

« هى »

يمينـا	بذات الله ، خير الحا كمينـا
لسوف أقول يامولاى ، صدقا	وأظهر عندك الحق المبينـا

*
* *

لقد كنا هناك ، لدى زليخـا	وأحضرت الطعام لنا ثمينـا
وكنا نأ كل التفاح ، حتى	بدا ذاك الفتى كالبدر فينا !
فقطعت المدى منا الأيادى	وأظهرنا الصبابة والحنينـا
وراودناه ، فاستعصى علينـا	وأبدى يوسف الخلق المتينـا

« فرعون ـ مشيراً إلى أخرى »

وأنت ؟

« هى ـ واقفة »

لقد أسمعنا عن زليخا حديثا ، كان مرذولا مشينا

وقلنا : إنها عشقت فتاهـا وأبدت نحوه الحب الدفينا

ولمناها ، على ما كان منهـا وقلنـا : قاتل الله الخئـونا !

*
* *

دعتنا عندها في القصر يوما وفى القصر التقينا أجمعينا

وأخرجت الفتى عمداً علينـا فأبدينا برؤيتـه الجنونا

جمال ساحر ، يسبى الغوانى ويفتن من يراه به فتونا !

وقالت : إنها طلبت اليـه ولم يقبل فتاها أن يخونا

فقلنا للفتى : لم لم تطعهــا ألم تك عندها عبدا مهينا ؟

فقال لنـا : معاذ الله ، انى أخاف الله رب العـالمينا

وأظهر عندنا شرفا ونبـلا وعزما فى الحوادث لن يلينا

ولما أن رأت منه امتناعا سعت فى سجنه ، فغدا سجينا

« فرعون ـ مشيراً إلى الثالثة »

وأنت ؟

« هى ـ واقفة »

العفو يامولاى

« فرعون »

قصى علينا مارأيت ، وحدثينا

« هى »

رأيت مآسيا ، وشهدت أمراً جليلا ، يرسل الدمع السخينا
لقد طلبت زليخا من فتاها وخانت زوجها الرجل الأمينا
وقلنا : إنها فعلت قبيحا ولمناها كبعض اللائمينا
فلما ساءها منا حديث دعتنا للطعام ، وقد رضينا
هنا طلع الفتى ملكا علينا وكان سناه يختطف العيونا !
سقطنا مثلما سقطت زليخا سقوطاً مخجلاً يندي الجبينا
وأظهر يوسف الصديق طهرا ولم يرض الفتى فحشاً ودونا

« الوزير ـ محتدا »

لكن الله يا شر النساء تحرضن العفيف على البغاء !

أفى قصر العزيز ، يكون هذا وفى بيت السيادة والعلاء ؟

« زليخا ـ ترد عليه »

ترفق فى الخطاب ، ولا تعرض ولا تلجأ إلى عبث الهجاء
يقلن الحق ، فى أسف شديد فهن الآن ، أجدر بالثناء

« فرعون ـ لزليخا »

زليخا ، ما حديثك يا زليخا ؟ وماذا تأخذين على النساء ؟

« زليخا »

لقد قلن الصواب بغير مين وأظهرن الحقيقة فى جلاء
أنا راودته ، فأبى شريفا وفر من الرذيلة فى إباء
ولما شاع بين الناس أمرى ولاكته العبيد بلا حياء
نصبت لهن يامولاى ، فخا وجئن إلي فى ذاك المساء
وحين رأين يوسف قلن هذا ملاك من ملائكة السماء !
وقد قطعن أيديهن ، بهرا ولم يسألن عن سيل الدماء
وقلن ليوسف اصنع ما أرادت فخالفهن يوسف فى ازدراء
فيوسف كان يامولاى ، عفا مثالا للطهارة والنقاء

وكان ضحية . أضحى سجينا　　يذوق الظلم فى جور القضاء

« فرعون ـ للوزير »

لقد اعترفن بتاجنين على الفتى　　وصدقن عند سؤالهن جوابا
ماذا ترى ؟

« الوزير »

إنى بهن لمعجب　　وأرى اعتراف الخاطئين متابا
والله غفار ، وإنك راحم　　وكفى بهذا الاعتراف عقابا

« فرعون ـ يخاطب النساء »

والآن ، عدن الى البيوت حرائرا

« زليخا ـ فى خجل »

ياليتنى مولاى : كنت ترابا

« يخرجن ، ويدخل الحاجب »

« الحاجب ـ لفرعون

ساقى الشراب ، مع الفتى العبرانى　　وقفـا بباب الملك ، ينتظران

« فرعون »

أوجاء يوسف ؟

« الحاجب »

جاء

« فرعون »

فليدخل إذن   من غير تنبيه ولا استئذان

« يدخل يوسف عليه فاخر الثياب ، وجمال الشباب ، وجلال الحكماء ، فيحيي الملك بالانحناء ، فيبادله فرعون التحية ، وينظر اليه نظرة فيها معنى الإجلال والاكبار ، والساقى وراءه »

« فرعون ـ مشيراً إلى يوسف »

اجلس، فأنت عن الضلال بعيد   ولأنت عندى عاقل ورشيد
إنى بحثت الأمر بحثاً وافيا   فوجدت أن الخلق فيك حميد

« يوسف ـ جالسا »

فرعون ، أشكركم ، وأذكر فضلكم

والشكر لله العلى يزيد

« فرعون ـ للساقى »

الخمر ياساقي

« يوسف »

لمن ؟

« فرعون »

لك

« يوسف »

أعفنى لا أحتسى خمرا ، وأنت شهيد

« يقدم الساقى الشراب للملك »

« فرعون ـ ليوسف »

أسمعت رؤيانا ؟

« يوسف »

نعم ، وعبرتها

« فرعون »

أتعيد تأويل المنام ؟

« يوسف »

أعيد

إن البلاد سيعتريها حادث جلل ، وخطب يامليك ، عتيد
ستكون أعوام الرفاهة سبعة فالعيش مخضل الجناب رغيد
والأرض تمرع ، والروابي تزدهي والشعب في هذا الرخاء سعيد

*
* *

فإذا انقضى زمن الخصوبة ، أقبلت سبع شداد ، خطبهن شديد
سبع ستلتهم الرخاء ، كأنها ريح تحطم عوده وتبيد
وتهز أركان البلاد مجاعة لو لم يكن رأى هناك سديد

« فرعون ـ مهتما »

ما الرأى ؟

« يوسف »

أن تضعوا نظاماً محكما فإذا انقضى عهد الرخاء ، يفيد

« الوزير ـ لفرعون »

إنى أرى هـذا الفتى متبصرا وله مدى فى الحادثات بعيد
فاسأله ، ما هذا النظام وخطبه واسأله يامولاى ، كيف يريد ؟

« فرعون ـ ليوسف »

ضع ما تراه من النظام ، فإننى عما يرى الصديق ، لست أحيد

« يوسف ـ بعد تفكير قليل »

سنجمع يا مولاى ، في زمن الخصب
من القمح ، مايمتار[1] فى زمن الجدب

(١) يمتار : يطعم

ونزرع أرض النيل بالقمح جلها

ونزرعها تلك السنين على دأب

ونترك هـذا القمح فى سنبلاته

ليسلم يامولاي ، من آفة الحب

وننشىء فى عرض البلاد خزائنا

تصان بها الغلات خوفاً من النهب

بذلك يامولاى ، تنجو بلادكم

من القحط ، إبان المجاعة والـكرب

« ينهض فرعون مفـكرا فى مشية وئيدة ، فيقف الجميع »

« فرعون ـ ليوسف »

صدقت ، وإن الأمر جد خطير

فمن لى بفذ ، بالأمور بصـير ؟

أسلمه عند الشدائد إمرتى ويصبح عونى عندها ونصيرى

وينقذ شعبى من غوائل أزمة تؤدى إلى شر ، وسوء مصير

فلوأجد الشخص الذى فى قرارتى (١)
لهانت أمورى ، واستراح ضميرى

« يجلس فيجلس الوزير »

« يوسف »

أنا الرجل المرجو ، والله ناصرى
وانى على اللأواء (٢) جد قدير

فخذنى وزيرا للزراعـــة ، إننى
على مثل هــذا الأمر غير صغير

وضع فى يدى أمر الخزائن ، واسترح
وسوف ترى عزمى ، وصدق شعورى

سأنقذ هذا الشعب من أزماته
بحكمة موهوب ، وعقـــل خبير

---

(١) قرارتى : قرارة نفسى (٢) اللاواء : الشدة

«الوزير ـ لفرعون»

أوافق أن ترضى، وتستوزر الفتى   فيوسف يامولاي ، خير جدير
له بصروف الدهر علم وخبرة   وخص بعقل فى الخطوب كبير

(فرعون ـ ناهضا فى لهجة الجاد ، ماداً يده إلى يوسف)

تول زمام الأمر ، وامض كما ترى   فيأيها الصديق ، أنت وزيرى





تول زمام الأمر وامض كما ترى   فيأيها الصديق أنت وزيرى



الفصل الخامس
المنظـــر الأول

يوسف في قصر الوزارة مهتم ببعض شئونه ، معـــه فتيانه ومساعدوه

« أصوات مرتفعة خارج القصر تردد هذا الهتاف »

أنقذونا ، أنقذونا   بطعـام أدركونا
إننا كدنا نموت   فأغيثونا بقوت
يا وزيرا للزراعة   إن فى مصر مجاعة

« يوسف ـ لفتيانه وهو يطل من شرفة القصر »

ياقوم ، ماهذا الضجيج المنكر ؟

« رئيس ـ العمال »

شعب يضج بساحتيك ويجأر

« يسمع الهتاف مرة أخرى »

« حاجب ـ ليوسف »

بالباب يامولاى ، وفد

« يوسف »

فليجيء

« الحاجب »

سمعا لما يلقى العـزيز و يأمر

« يخرج ، فيدخل وفد من قبل الشعب »

« يوسف »

ماخطبكم ؟

« زعيم الوفد »

إنا نبيت على الطوى ونـكاد من هول المجاعة نقبر
فالأزمة الـكبرى تهد كياننـا والشعب مما انتـابه يتضجر
جفت زراعتنا ، وأجدب ريفنا ذهب اليبيس بأرضنا، والأخضر

« غيره »

والقحط يامولاى ، يقصم ظهرنا والجدب فى جسم الرعية يجزر
أطفالنا تبكى ، فيبكى قلبنا والحزن من أعماقه يتفجر

« الزعيم »

جئنا إلى فرعون ، نطلب عونه فهو المليك المستعان الأكبر
فأجابنا ، خفوا ليوسف واقصدوا دار الزراعة باللبانة تظفروا

« آخر »

فامسح دموع البائسين برحمة فالدمع من آماقهم يتحدر
بيديك يامولاى ، تحيا أمة ماتت « ويخضر الزمان المقفر »

« يوسف »

لاتفزعوا ، إنى خلقت لعونكم وعلى رعايتكم أقوم وأسهر
اليوم أفتح بالبلاد خزائنى وبها من الغلات مالا يحصر
وتفيض بالخير العميم بلادكم فكلوا هنيئا واشربوا واستبشروا

« الزعيم »

مولاى ، ان الشعب يحفظها يدا   لك ، ليس يجحدها الزمان و ينكر
إنا نخر على بساطك سجدا   نثنى على الفعل الجميل ونشكر

« ويركعون أمامه — ثم يخرجون »

« يوسف ـ لفتيانه »

يأيها الفتيان

« الفتيان »

أمرك سيدى

« يوسف »

خفوا الى العمل المجيد ، وشمروا
وخذوا مفاتيح الخزائن ، وانهضوا   وعن انتشال القوم لا تتأخروا
كونوا مثالا للعدالة ، وارفقوا   وعلى ضعاف الناس لا تتجبروا

« رئيسهم »

سنكون يامولاى ، طوع بنانكم   نمضى الذى ترجوه أنت وتأمر

« ثم يخرجون سراعا ، ويسمع غناء الشعب
وهتافه ليوسف من الخارج ابتهاجا »

« الهتاف »

يحيا وزيرا للزراعة يوسف   فهو الوزير المستعان المنصف
أمل البلاد براحتيه معلق   وبذكره فى الخالدين سيهتف
يحيا وزيراً للزراعة يوسف

« الحاجب »

ببابك يامولاى ، قوم عليهم   سمات رجال البدو ، والله يعلم
أتوا من ربوع الشام ، يبغون ميرة

« يوسف »

ليأتوا إلينا

« الحاجب - مطيعا »

أمر مولاى مبرم

« يخرج الحاجب ، فيدخل إخوة يوسف ، ويركعون

أمامه ، تحية واجلالا ، يتفرس فيهم
فيعرفهم ، وهم له منكرون »

« يوسف »

من القوم ؟

« شمعون »

من كنعان

« يوسف »

ماخطبكم إذن

« شمعون »

نريد ابتياع القمح ، فالجوع مؤلم
ولما رأينا القحط حل بدارنا وكدنا من الجدب الذى عم نعدم
أتينا الى مصر المبارك نيلها نزود قمحا من جناها فنطعم

« يوسف »

ولكننى فى ريبة من قدومكم فأنتم عيون ، للتجسس جئتم

« يهوذا »

عيون ؟

« يوسف »

نعم

« يهوذا »

إنا من القوم علية   أبونا نبي ، طيب الأصل مكرم
له بين أرجاء الشـآم مكانة

« يوسف »

ومن هو ؟

« يهوذا »

يعقوب الرسول المعظم

« يوسف »

وهل هو حي ؟

« يهوذا »

فى أواخر عهده ولـكنه شيخ كبير محطم

وقد ذهبت عيناه ، حزنا على أخ لنا ، صاده ذئب خبيث

« يوسف »

« شمعون »

أنـكذب يامولاى ، والـكذب وصمة !

وكل كذوب ، سيىء الخلق مجرم !

« يوسف ـ فى سخرية »

ألم تكذبوا يوما ، ولو مرة ؟

« شمعون ـ في لجلجة »

نعم

فى ديننـــا الـكذب القبيح محرم

« يرسل يوسف ضحكة خفيفة ، وينظر بعضهم لبعض »

« رأوبين »

أتسخر منا ، سيدى ؟

« يوسف »

لست ساخرا

ولــكننى عنـــد الفــكاهة أبسم

« ثم يقول بعد فترة »

أليس لـكم بعـد الذى مات إخوة ؟

« رأوبين »

لنا واحد ، فى ظل يعقوب ينعم

« يوسف »

أيمـكنكم أن تحضروه ؟

« رأوبين »

وما الذى

يهمك يا مولاى ، فالأمر مبهم ؟

« يوسف »

لأعلم من إتيانه صدق قولكم فإنى على شك من الأمر فيكم
فإن جئتمونى بالفتى أوف كيلكم وأحسن مثواكم ، وأعطى وأكرم
وإن لم تجيئوا فامكثوا فى دياركم ولا تقربوا تلك الديار فتندموا

« رأوبين »

نراود عنه الشيخ ، حتى يطيعنا وفى المرة الأخرى ، به سوف نقدم

« يوسف ـ منادياً أحد فتيانه »

تعال

« الفتى »

نعم

« يوسف ـ يسر إلى فتاه »

أوفوا لهم فى غلالهم ودسوا لهم أثمانها فى رحالهم
ولا تشعروهم بالذى تفعلونه لأنى أراهم فى احتياج لمالهم

« الفتى »

سنفعل يامولاى ، ماقد أمرتنا ونعنى ، كما يعنى ، الوزير بحالهم

« يخرج الفتى ، ثم يخاطب يوسف إخوته »

أيها القوم قد عطفنا عليكم وأمرنا لكم ببيع الغلال

غير أنى أريد منكم وفاء إنما الصدق من سجايا الرجال

هل ستأتون لى غدا بأخيكم فتفوزوا بحظوتى ونوالى ؟

« شمعون »

أيها المحسن الكريم ، سنأتى بأخينا اليك ، بعد ليال

نحن قوم ، إذا وعدنا وفينا قد ربينا على جميل الخلال

« يوسف »

إننى الآن مطمئن اليكم آسف ، لاشتداد هذا الجدال

فاذهبوا مسرعين نحو أبيكم ذلك الشيخ ذى التقى والجلال

« يخرج إخوة يوسف شاكرين محيين ، و يقف هو
يشيعهم بنظراته ، ثم يناجى نفسه بتأثر »

« يوسف »

إن ذكرى يعقوب هاجت حنيني   وأثارت عواطفي وخيـــالي
أتراني أراه عما قريب   بعد ما مر من سنين طوال !

« ثم يقول بلهجة المؤمن الواثق »

ليس هذا على الإله عزيزا   كل صعب لديه سهل المنـال

ستار

المنظر الثانى

نفس المنظر الأول ، جماعة من الفتيان ، واثنان منهم يتحدثان

« الأول »

أتذكر وفد الشام إذ جاء فى مصرا
وإذ كان مولانا سيأخذهم أسرى ؟
وقال لهم أنتم عيون ، وفدتمو
على مصر تبغون التجسس والمكرا ؟

« الثانى »

نعم ، ثم آواهم وأحسن رفدهم ورد عليهم سيدى مالهم سرا

« الأول »

همو إخوة المولى ، وينقصهم أخ تولوا على أن يحضروه إلى مصرا

« الثانى »

ومن أين هذا السر ؟

مما سمعته   فقد كان مولانا يحادثهم جهرا

« الثانى »

وهل عرفوا أن العزيز أخوهمو؟

« الأول »

أظنهمو لم يدركوا ذلك الأمرا

فيوسف لم يظهر صريحا أمامهم   وقد كان أذكاهم وأنضجهم فكرا

« يدخل يوسف الوزير ويجلس على عرشه »

« يوسف »

كيف حال الأهليين ؟

« رئيس فتيانه »

جد سعيدة   وحيـاة براحتيـــك رغيدة

« غيره »

كلهم ياعزيز ، يطرى فعـالا   منك كانت ، ولاتزال ، مجيدة

« غيره »

يلهج الشعب باسمكم ، كل حين أنت أحييته حيـاة جديدة

« يوسف »

انمـا الفضـــل والثناء لربى هو يرعى ، كما يشاء ، عبيده

« يدخل الحاجب معلنا قدوم اخوة يوسف للمرة الثانية »

« الحاجب »

أتى وفد كنعان

« يوسف ـ مهتما »

فليــــدخلوا

« رئيس الفتيان ـ مشيراً اليهم »

إذن نحن من ها هنا نرحل

« يخرجون ، ويدخل إخوة يوسف عليه واحدا إثر
آخر ، وبنيامين آخرهم ، ويحيونه راكعين ،
ويظهر يوسف العطف بالنظر إلى أخيه »

« شمعون »

صدقناك ياسيدى ، وعدنا — فهـذا أخونا الذى تأمل
أتينا به ، بعد جهـد شديد — فيعقوب من بعـده يوجل
ولم يقبـل الشيخ إلا بكره — وما كاد ياسيدى ، يقبـل
ولولا مواثيقنـا عنـده — لـكنا بغـير الفتى نقبل

« يوسف »

ألم يثق الشيخ فيـكم ؟

« شمعون »

نعم — وعن ظنة السـوء لا يعدل

« يوسف »

وكيف يظن بكم ظنـه ؟ — وأنتم بنوه ، وهل يعقل ؟

« يبهتون و ينظر بعضهم إلى بعض »

« بنيامين ـ يقبل على يوسف ويسر إليه »

لقد كان لى منذ حين ، أخ — تعـدوا عليـه ولم يجملوا !

وخلوا أباه على ضعفه ... حزيناً ، على بعده يعول !
لذلك لم يأتهم أبى ... لما فعلوا بابنه أول

« شمعون ـ لبنيامين وهو يجذبه بعنف »

تعال ، بماذا تسر إليه ؟ ... وماذا تقول ؟ وما تفعل ؟
تأدب ، فإن الحديث له ... مواطن ، أنت لها تجهل !

« يوسف »

دعوه قليلا معى ، واخرجوا ... فإنى عن أمركم أسأل

« يخرجون ، و يبقى بنيامين ، ينهض يوسف واقفا ،
و ينظر إلى أخيه نظرات كلها عطف وحنان ،
فيأنس به بنيامين ، ويبادله النظرات »

« بنيامين »

لماذا ينظر المولى إليا ؟ ... فهل ياسيدى ، ترتاب فيا ؟

« يوسف »

معاذ الله ، لست هنا مريبا ... ولكن أنت ذون شأن لديا

« بنيامين ـ فى دهشة »

وما شأن الحقـير لدى عزيز   وما شأن الثرى عند الثريا ؟

« يوسف »

لقد يسمو الضعيف إلى المعالى   ويصبح بعـــد آونة قويا

« بنيامين »

حديثك يا عزيز ، له مرام   ولكن، لست أدرى عنه شيا !

« يوسف ـ فى نغمة مؤثرة »

ألم تعرف أخاك ؟

« بنيامين ـ وهو يبكى »

أخى تولى   وكنت زمانه حدثا صبيا

« يوسف »

أيذكره أبوك ؟

« بنيامين »

وليس ينسى   تراه بـــكل آونة بكيا





أبنيامين ؛ لا تحزن فاني أخوك ؛ وإنى مازلت حيا ؟

« يوسف ـ في صوت أجش ماداً يده إلى أخيه »

أبنيامين ، لا تحزن ، فإني أخوك ، وإنني مازلت حيا

« بنيامين ـ مدهوشا »

أيوسف أنت ؟ إني في ذهول من الدهش الذى استولى عليا !

« عناق وقبل ، ثم يسترسل بنيامين قائلا » :

تعالى الله ! فرج عن أبينا وكان يبيت محزونا شجيا

ولم ييأس من اللقيان يوما وكان يحس إحساسا خفيا

« يوسف »

ساصنع حيلة تبقيك عندى قرير العين ، ذا دعة ، خليا

إلى أن يقضى الرحمن أمرا وسوف يجىء والدكم اليا

« بنيامين ـ وهو يقبل أخاه »

أقبل وجنتيك أخى ، فإنى رأيتك لا تزال أخا وفيا

« يدخل رئيس العمال ، وهو يقول ليوسف :

سيدى ، القوم يبتغون الرحيلا

« يوسف »

جهزوهم بكل ما يستطاع

ثم كيلوا لهم ، وأوفوا المكيلا وبرحل الفتى يدس الصواع

« مشيراً الى بنيامين ، والي سقاية تشبه الكأس الذهبية »

« الرئيس ـ وهو يأخذ السقاية ويخرج »

أمركم ياعزيز ، أمر مطاع

« يوسف ـ لبنيامين »

اخرج الآن ياشقيق ، اليهم وستأتى الى أخيك قريبا

ثم لا تفض بالحديث اليهم ولتكن حازما رزينا أريبا

« بنيامين ـ وهو خارج »

ستراني لما أمرت مجيبا

« يوسف ـ تعاوده الذكرى »

بسمت لنا بعد التجهم ، يادهر وعادت لنا الآمال، وانفرج الأمر

ألم أك فى جب سحيق ، يروعنى صدى الليل ، والبيداء موحشة قفر
عفا الله عنكم إخوتى ، إننى اذا ذكرت ظلام الجب يؤلمنى الذكر

*
* *

ألم أك مسجونا بغير جريرة
ولكنها الأيام ، من شأنها الغدر
ولولا يقينى واصطبارى على الأذى
لطاحت بى الأقدار ، واستفحل الشر
تعاليت ربى ، أنت فرجت كربتى
ففضلك يامولاى ، ليس له حصر
ومكنت لى فى الأرض ياخير واهب
فحق لك التقديس والحمد والشكر
وأوليتنى مجدا رفيعا وسؤددا
فأقبلت الدنيا ، ودانت لنا مصر

***

رأيت أخي من بعد ماطالت النوى

فأحسست بالبشرى؛ وفاض بي البشر

وقد يلتقي الأهلون بعـد تفرق   و بعد ظلام الليل ينبثق الفجر

« تسمع جلبة وضوضاء من وراء الستار »

« رئيس العمال ـ لاخوة يوسف »

قفوا يا قوم ، أنتم سارقونا

« يهوذا »

معاذ الله ، ماذا تفقدونا ؟

« الرئيس »

صواع مليكنا

« شمعون »

لسنا لصوصا

« الرئيس »

ولـكنا سنبحث

« رأوبين »

فتشونا

« و بعد فترة يفاجئون يوسف داخلين عليه »

« شمعون - فى لهجة شديدة »

رجالك ياعزيز ، عدوا علينا وقالوا : نحن قوم سارقونا ؟
وماجئنا نعيث هنا فسادا ولكنا سراة مصلحونا
على خلق الأمانة قد نشأنا وربانا على شرف أبونا

« يوسف »

وأين رحالكم ؟

« شمعون »

حجزوا عليها وفيها عن صواع يبحثونا !

« يوسف »

وان وجدوا الصواع بها، فماذا على اللص الجرىء ستحكمونا ؟

« يهوذا »

يكون جزاؤه أن تأخذوه أسيرا ، ياعزيز ، وتتركونا

« يدخل الفتيان ، ومعهم رحل بنيامين »

« رئيسهم »

بعد بحث على الصواع كثير ، ربما كان فى وعاء الصغير

« يوسف »

افتحوه ، وفتشــوه أمامى

« شمعون »

فلتــكن أنت يا سمو الأمير

« يفتح يوسف رحل أخيه ، و يستخرج منه الصواع أمامهم ، فيبهت القوم ، و يتظاهر بنيامين بالخزى »

« شمعون ـ فى حدة »

إن يكن سارقا فإن أخاه كان لصا لـكل شىء حقير[1]

---

(١) قبل ان يوسف وهو صغير أخذ دجاجة من البيت وأعطاها لسائل

« يوسف ـ مغضبا »

علم الله ، يارجال البوادى أنكم عصبة بغير ضمير
فإليكم عنى ، وخلوا أخاكم فهو ملكى بتاجى ، وأسيرى

« يأخذ الفتيان فى إخراجهم ، فيتوسلون
هم إلى يوسف »

« يهوذا ـ مستعطفا »

أتأخذ منا مكان أخينا فتى غيره ، قد يكون أمينا ؟
فإن أباه لشيخ كبير « وإنا نراك من المحسنينا »

« يوسف ـ ممتنعا »

أنأخذ غير الذى قد تعدى ؟ إذن سنكون من الظالمينا !

« يهوذا ـ لاخوته »

ألم تذكروا العهد يا إخوتى وأنا هناك حلفنا اليمينا ؟

بألا نعود بغير الفتى فماذا نقول غدا لابينا ؟
ومن قبل، يوسف أهلكتموه وأورثتم الشيخ داء دفينا !
فلن أبرح الأرض، يا إخوتى وأنتم علي من الشاهدينا

« يخرجون آسفين — ثم يتعانق يوسف و بنيامين »

ستار

الفصل السادس

المنظر الأول

يوسف و بنيامين يتناولان الطعـــام ، فى حجرة من قصر يوسف الخاص ، و بعض الغلمـان يقوم على خدمتهما ، و يدور بينهما الحوار الآتى :

« بنيامين ـ ضاحكا »

ترى ماذا يقـول أبوك عنى   إذاهم حدثوه بما سرقت ؟

« يوسف »

سيعلم والدى الموهوب أنى   على قيد الحيـاة وما فقدت

« بنيامين »

ومايدريه ؟

« يوسف »

إن الروح تسمو   بصاحبهـــا إلى سر الوجود

وليس يعوق تلك الروح جسم   فمعنى الروح من معنى الخلود

« بنيامين »

كأن أباك كان على يقين   بأن الذئب من دمكم براء

« يوسف »

نعم ، فأبوك ذو علم متين   ولا يؤتاه الا الأنبيـــاء

« بنيامين »

أيبعث والدى بالقوم ؟

« يوسف »

إنى   على علم بتقـدمهم اليـا

فلا تذكر لهم ما كان منى   ولا تظهر لهم ياصاح شيا

« يدخل حاجب يقول » :

ببابك ياعزيز ...

« يوسف ـ مقاطعاً »

ومن بيأتى   سوى البدو الذين عرفتموهم ؟

« الحاجب »

همو فى حال بؤس واكتئاب

« يوسف »

علي بإخوتى ولتـــكرموهم

« يطيع الحاجب ، وينهض بنيامين متظاهرا بخدمة العزيز ، ويدخل إخوة يوسف عليه للمرة الثالثة فى حال سيئة »

« شمعون »

أيهذا العزيز ، أحسن الينـا نحن بالفقر والعذاب اكتوينا

مسنا الضر ياعزيز ، وجعنـا وصروف الزمان غلت يدينـا

« يوسف »

كيف أنتم ؟ وكيف حال أبيكم ؟

« رأوبين ـ فى حزن »

حالنا ياعزيز تبـدو علينـا

وأبونا فى كربة وشقاء   وابتئاس ، لفقـده أخوينا

« يتأثر يوسف و بنيامين ، وتدمع عيناهما »

« يوسف ـ لبعض الغلمان »

أحضروا للضيوف بعض الطعام   إن فيهم سمات قوم كرام

« شمعون »

أعفنا ياعزيز

« يوسف »

لستم لئـــاما   و إباء الإكرام خلق اللئام

« شمعون »

نحن بدو على الكفاف نشأنا   ماحضرنا لمثل هذا الطعام !

أنذوق الطعـام حلوا شهيا   وأبونا على الطوى فى سقام ؟

« يوسف »

ألم يزل الشيخ فى حزنه   يناجى الهموم لفقـد ابنه ؟

« رأوبين »

بلى ، إنه لم يزل ذاكرا ليوسف ما كان من حسنه
فيوسف ذكراه لا تمحى يروح ويغدو على ذكره
« فكر الغداة ، ومر العشى » وطول الحوادث ، لم ينسه

« شمعون »

ويعتقد الشيخ أن ابنه سليم معافى ، على ظنه !

« يوسف »

وهل هو في ظنه مخطىء

« شمعون »

نعم ، هو يهذر من سقمه
كأن أبانا أصيب بشيء كثير من المس فى عقله !

« بنيامين ـ محتدا »

كذبتم ، فإن أبى عاقل وأنتم تحطون من شأنه

« شمعون ـ لبنيامين »

أترفع صوتك عنـد الأمير وقد عشت يالص، فى ظله ؟

« بنيامين »

ماذا سرقت ؟

« شمعون »

سرقت صواعا !

« بنيامين ـ فى تسرع »

وأنتم سطـوتم على ربه !

« يظهر القوم اضطرابا وذهولا ، وينظر بعضهم الى
بعض ، ويتفرسون فى يوسف »

«شمعون ـ ليوسف»

ألست بربك فى دهشـة لهذا الغـرير ، ومن قوله ؟

« يبتسم يوسف ضاحكا ، ويرفع التاج عن رأسه ،
فتظهر شامة بيضاء فى شعره كان يعرف بها صغيرا »

« يوسف »

أتدرون ياقوم ، ماذا فعلتم   بيوسف ، حين ذهبتم به ؟
وفى الجب عمدا رميتم أخا   ولم ترحموه على ضعفه ؟

« يعتريهم خزى ، وتأخذهم دهشة »

« رأوبين ـ يسر إلى شمعون »

لعمرك إن الفتى يوسف   وتلك العــــلامة فى رأسه
ألم تر فى وجهــه ياأخى   جمالا ، يدل على شخصه ؟

« شمعون ـ ليوسف وهو ينظر اليه »

ألم تك يوسف ، ياسيدى ؟   وآثرك الله من فضـله ؟

« يوسف ـ ناهضا »

بلى ، أنا يوسف

« شمعون »

أخجلتنـــــا

« يوسف »

وهل يخجل المرء من فعله ؟

« شمعون ـ فى استعطاف »

بربك عفوا ، فإنا أسأنا وقد يخطىء المرء فى جهله
وكنا شبابا ، وإن الشبا ب ، يقود النفوس إلى شره
وأنت أخونا ، وحق على الأ خ ، أن يتسامح فى حقه

« بنيامين ـ فى سخرية »

رويدك شمعون ، لا تعتذر أتذكر لطمك فى خده ؟
وتذكر حين عدوت عليه وكنت تحث على قتله !

« هنا يدخل يهوذا ، وكان متخلفا ، يسر إليه
رأوبين ، وكأنه يخبره بالأمر الواقع فيدهش »

« بنيامين ـ يسترسل مشيراً إلى يهوذا »

ولولا يهوذا ، عفا الله عنه لكنتم جميعا فتكتم به !
رميتم به الذئب زورا ، وأنتم ذئاب ، عويتم على أكله !

« يوسف ـ لأخيه »

أبنيامين لا تشطط ، فإنى　　نسيت اليوم ما فعلوه فيا
فهم منى على رغم الليالى　　وسوف يعيش فى النعمى

« و يلتفت اليهم قائلا » :

دمى دمكم ، وعنصرنا زكى　　وكيف نخون عنصرنا الزكيا ؟
فلا تثريب يا قومى عليكم　　فأنتم أكرم النـاس لديا

« يهوذا »

عفوت ، وأنت للغفران أهل　　ولم تك قط جبارا عصيا

« رأوبين »

ملكت رقابنا بجميل فعل　　وكنت ، ولم تزل ، حرا أبيا

« شمعون »

ونحن الخاطئون ، كما اعترفنا　　أتينا عندك الأمر الفريا

« يوسف ـ وهو يصافحهم »

دعوا الماضى ، فكم من حادثات　　طوتها كرة الأيام طيا !

« ثم يخلع قميصه ، و يعطيه لهم قائلا » :

خذوا هذا القميص إلى أبينا   فيرجع مبصرا فرحا رضيا
وهيا إخوتى ، شدوا المطايا   وعودوا مسرعين به إليا

« يخرجون فى فرح مسرعين »



المنظر الثانى

يوسف بقصر الوزارة ، مهتم بشئونها ، تسمع أبواق مؤذنة بقدوم فرعون يتفقد أحوال وزاراته

« الحاجب ـ ليوسف »

مولاى ، ركب مليكنا يتقدم

« يوسف ـ ينادى الغلمان »

يأيها الغلمان ، فلتتقـــدموا

« يحضر الغلمان من الخارج »

« يوسف »

غنوا نشيد النيل عند قدومه   وبلحنه العذب الجميل ترنموا

« يقدم فرعون وكبير وزرائه ، فتعزف الموسيقى ويغنى الغلمان بين يديه هذا النشيد » :

للنيـــل أياد بيضـــاء   فاضت بالخصب على مصرا

فجنـان نضر فيحـــاء   طابت ثمرا ، وسرت زهـــرا

هو روح الشعب ، به يحيا   يجرى دمه فى الشريان
هو كوثر جنات الدنيا   هو سر جلال الرحمن

***

عذب النغمات ، إذا سالا   كنسيم يعبث بالشجر
صعب الغضبات ، إذا صالا   كقضاء الله وكالقدر

***

وبراحتكم يا فرعون   في موطننا يجرى النهر
أنت المولى أنت العون   والفتح يحفك والنصر

« ثم يخرج الغلمان محيين الملك »

« فرعون — ليوسف »

تقبل شكرى السامى   وعش في ظل إنعامى
فإنك لم تزل أهلا   لإجلالى وإعظامى
قدرت فعالك اللاتى   بها خففت آلامى
خدمت الشعب فى عزم   واخلاص وإقدام
ففضلك ليس ينسيه   مرور العام فالعام

« كبير الوزراء »

إني أشاطر مولى نعمتي الشكرا   فكم ليوسف من فضل على مصرا
نجى البلاد وأحياها بحكمته   و بدل العسر من أحوالها يسرا

« يجلسان »

« يوسف »

استغفر الله ، إن الله سخرني   وقد هداني الى أن أفعل الخيرا
فلا تـكيلوا لنا شكرا ومحمدة   بل قدموا للاله الحمد والشكرا

« غلام »

أقبل الركب

« فرعون »

من هم يا غلام ؟

« الغلام »

هم رجال من البوادى عظام

« ينظر يوسف ، فإذاهم أبوه واخوته وجميع بنى إسرائيل »

« يوسف .. فرحا »

هو يعقوب والدى ، وبنوه خير شعب قد أنجبته الشآم

رسل الهدى ، والحياة ضلال باعثو النور ، والحياة ظلام

علية القوم ، فى الشآم اليهم يرجع المجد ، والأمور الجسام

إن يعقوب من سلالة إبرا هيم شيخ الهدى ، عليه السلام

هم أولو الوحى ، للأنام هداة هم سراة على الزمان كرام

« يدخل يعقوب وزوجه وبنوه »

« يعقوب .. ناظرا إلى يوسف فى دهشة الفرح »

أيوسف ، أم يداعبنى خيالى ؟ نعم هو ، تلك آيات الجمال

« يوسف ـ وهو يعانق أباه ويبكيان »

أبى إنا على الزمن التقينا بكم ، بالرغم من عبث الليالى

« يعقوب ـ وهو يقلب نظره فى العرش وماحوله »

أعرشك يابنى ؟

« يوسف ـ وهو يجلسه »

نعم ، لتجلس مع الملك المتوج ذى الجلال

« يعقوب ـ مشيراً إلى فرعون »

أفرعون المليك ؟

« يوسف »

نعم

« فرعون ـ في احترام »

لتجلس

« يعقوب »

حفظت من الغواية والضلال

وباركك الذى أعطاك ملكا وزانك بالمهـابة والكمال

« يشتغل يوسف بتحية خالته ويجلسها ، ثم يصافح إخوته »

« فرعون ـ ليعقوب »

لقد شرفت بمقدمكم بلادى ولست بمانع عنكم نوالى

أقيموا فى ضيافتنا كراما   وعيشوا كالرعية فى ظلالى

« ينهض فرعون ، فيقف الجميع هاتفين ، يشترك الغلمان فى الهتاف على الموسيقى »

« الهتاف »

يعيش المليك ، ويحيا الملك   ويبقى سعيدا ، يسوس البلاد
يعيش المليك ، ويحيا الملك   قوى الجناب ، رفيع العماد

« يخرج فرعون ووزيره ، ويجلس يوسف وأبوه وخالته ليئة »

« ليئة ـ ليوسف وهى تقلب نظرها فى قاعة الملك »

هنيئا لك الملك الذى فيه ترتع   فحظك موفور ، ونجمك يسطع
يحيط بك التوفيق من كل جانب   ودهرك منقاد لأمرك طيع
وحولك ملك شامخ محكم البنى   وحولك قوم من جلالك خشع

« يعقوب ـ فى دمعة سرور »

وإنا لمسرورون مما أصبته   ألست ترى عينى من البشر تدمع ؟

« يوسف »

أبى ، هذه رؤياى من قبل ، إذ هوت
كواكب هذا الكون حولى تركع

وأحسن بى ربى ، و برأ ساحتى   من السجن، إن السجن قبر مروع
وجاء بكم ربى من البدو ، بعدما   أصاخوا الشيطان الهوى وتسرعوا

« مشيرا إلى أخوته »

« تملك يوسف العبرة ، فيسكت عن الحديث ، فينهض
يعقوب ثائرا مخاطبا بنيه يبكتهم ، وهو يقول » :

وأركبهم[1] يوما من الحقد مركبا   أساءوا به معنى الإخاء وضيعوا !
وألقوك فى جب : مخيف ظلامه   وحولك واد موحش الليل بلقع !
وجاءوا إلينا فى العشى بحيلة   قميص ، وذئب ، واحتيال ومدمع !
ولم يصدقونى حين ضل ضلالهم   وعن كذب يودى بهم ما تورعوا !

« شمعون ـ فى استعطاف »

أبى ، إننا كنا زللنا على الصبا   ولكننا تبنا ، ولله نرجع

---

(١) يعنى الشيطان

« رأوبين »

فصفح جميل، إن يعقوب يرتجى وفيه لمن يرجو التسامح موضع

« يهوذا »

ويوسف أعطانا من العفو قسطه ولكننا فى عفو يعقوب نطمع

« يعقوب — يأمرهم بشدة »

قفوا عنده، واحنوا له الهام ركعا وصلوا جميعا للذى جل واخشعوا

« يخرون ساجدين على قدمى يوسف »

« يعقوب — رافعا يديه إلى السماء »

سألتك يارباه، فاغفر ذنوبهم فأنت لمن يرجو تجيب وتسمع

— ستار الختام —

سألتـــك يارباه فاغفر ذنوبهم   فأنت لمن يرجو تجيب وتسمع

تنبيه

وقعت أخطاء مطبعية في بعض النسح ، نصححها فيما يلي :ـ

الخطأ	الصواب	الصحيفة	السطر
لازلت	مازلت	٦	٧
الفعو	العفو	٦	١٤
الندا	النداء	٣٤	١٤
الحديت	الحديث	٣٨	١١
ياأيها	يأيها	٦٠	٥
جنبيها	جبينها	٦٣	٥
غيزها	غيرها	٧٧	١٣
أغبه	أرغبه	٨٢	١٠
وتهتز	وتهز	١١٢	١٤
ذون	ذو	١٣٣	١٤
الحواث	الحوادث	١٤٧	٣
ماذا	وماذا	١٤٨	٤
الشام	الشآم	١٥٦	٢

استدراك

تكرر في صحيفة ٤٢ هذا الشطر « خذوه نبعه بمصر سويا »

وجاء في صحيفة ١٥٠ هذا الشطر «وسوف نعيش في النعمى سويا »

فالأصح أن يستبدل بهما هذان الشطران :—

(١)«خذوه نبعه غلاما زكيا » (٢)« وإني لا أزال أخا وفيا »